

24 ربيع الأول 1448

06/09/2026

التفسير المحرر 7-10107-1.0

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ طَرَدَ كُفَّارَ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ رَحْمَتِهِ بِدَعْوَةِ دَاوُدَ وَعِيسَى عَلَيْهِمْ بَذْلُكَ، وَذَلِكَ اللَّعْنُ قَدْ وَقَعَ عَلَيْهِمْ لِعِصْيَانِهِمْ لِلَّهِ تَعَالَى، وَظَلَمِهِمْ لِعِبَادِهِ.

كَانَ لَا يَنْهَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا عَنْ رُكُوبِ الْمَعَاصِي، وَبِئْسَ هَذَا الَّذِي كَانُوا يَفْعَلُونَهُ!

تَرَى -يَا مُحَمَّدُ- كَثِيرًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَتَّخِذُونَ الْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ لَهُمْ، وَبِئْسَ هَذَا الَّذِي قَدَّمْتُمْ أَنْفُسَهُمْ لِمَعَادِهِمْ فِي الْآخِرَةِ، فَقَدْ نَالُوا سَخَطَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِمْ؛ وَبِقَاءِهِمْ فِي عَذَابٍ أَبَدِيٍّ.

وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا حَقًّا بِاللَّهِ تَعَالَى وَبِمُحَمَّدٍ وَبِالْقُرْآنِ، لَمَا جَعَلُوا الْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ لَهُمْ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَكِنْ كَثِيرًا مِنْهُمْ خَارِجُونَ عَنْ قَبُولِ الْحَقِّ وَاتِّبَاعِهِ.

لَتَجِدَنَّ -يَا مُحَمَّدُ- أَعْظَمَ النَّاسِ عِدَاوَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَأَكْثَرَهُمْ سَعْيًا فِي إْحَاقِ الضَّرَرِ بِهِمْ؛ الْيَهُودَ وَالْمَشْرِكِينَ، وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَ النَّاسِ وَدَادًا لِأَهْلِ الْإِيمَانِ مِنَ الْمَلِكِ الْمَخَالِفَةِ لِلْإِسْلَامِ، النَّصَارَى، فَقَرُبَتْ مَوَدَّتُهُمْ لِلْمُؤْمِنِينَ لِأَنَّ مِنْهُمْ عُلَمَاءَ وَغُبَّاءَ كَمَا أَنَّهُمْ يَتَوَاضَعُونَ لِلْحَقِّ إِذَا عَرَفُوهُ، وَلَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ قَبُولِهِ، وَالْإِنْقِيَادِ إِلَيْهِ.

وَإِذَا سَمِعُوا الْقُرْآنَ، تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَمْتَلِئُ دُمُوعًا فَتَسِيلُ مِنْهَا؛ لِأَنَّهُمْ عَرَفُوا أَنَّ الَّذِي يُتْلَى عَلَيْهِمْ حَقٌّ، وَالْحَالُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: رَبَّنَا، آمَنَّا بِالْحَقِّ؛ فَاجْعَلْنَا مَعَ مُحَمَّدٍ وَأُمَّتِهِ، وَأَثْبِتْنَا مَعَهُمْ؛ فَهَمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ لِلَّهِ تَعَالَى بِالتَّوْحِيدِ، وَلِرُسُلِهِ بِالرَّسَالَةِ، وَأَنَّهُمْ بَلَّغُوا أُمَّمَهُمْ، وَيَشْهَدُونَ عَلَى الْأُمَمِ السَّابِقَةِ بِالتَّصْدِيقِ أَوْ التَّكْذِيبِ.

قال النَّصَارَى الَّذِينَ أَسْلَمُوا: وَمَا الَّذِي يَمْنَعُنَا مِنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ تَعَالَى، وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ؟ وَنَحْنُ نَطْمَعُ بِإِيمَانِنَا أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْمُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ، الْمُطِيعِينَ لَهُ، جَنَّتَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

فَجَزَاهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِمَا نَطَقُوا بِهِ مِنَ الْإِيمَانِ وَالْحَقِّ جَنَّاتٍ تَجْرِي الْأَنْهَارُ مِنْ تَحْتِ أَشْجَارِهَا وَقُصُورِهَا، وَهُمْ مَأْكُوثُونَ فِيهَا عَلَى الدَّوَامِ، وَهَذَا جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى، أَوْ الْمُحْسِنِينَ إِلَى عِبَادِهِ.

وَأَمَّا الْكُفَّارُ وَالْمُكَذِّبُونَ بِآيَاتِنَا فَهُمْ سُكَّانُ النَّارِ الشَّدِيدَةِ النَّجَّاحِ وَالْحَرَارَةِ، الْمَلَاذِمُونَ لَهَا.

يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، لَا تَحَرِّمُوا مَا أَبَاحَهُ اللَّهُ تَعَالَى لَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ، وَلَا تُجَاوِزُوا حُدُودَ اللَّهِ تَعَالَى فِيمَا أَحَلَّ لَكُمْ وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ؛ فَإِنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ.

وَكُلُوا - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - مِنْ رِزْقِ اللَّهِ تَعَالَى الَّذِي يَسِّرَهُ لَكُمْ فِي حَالِ كَوْنِهِ حَلَالًا، غَيْرَ خَبِيثٍ، وَاجْعَلُوا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ غَضَبِ اللَّهِ تَعَالَى وَعَذَابِهِ حَاجِزًا يَفْقِيَكُمْ ذَلِكَ؛ فَإِنَّ إِيْمَانَكُمْ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يُوجِبُ عَلَيْكُمْ تَقْوَاهُ.

لَا يُعَاقِبُكُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِكُفَّارَةٍ تَلْزُمُكُمْ فِي الدُّنْيَا، وَلَا بِعُقُوبَةٍ تَحُلُّ بِكُمْ فِي الْآخِرَةِ، عَلَى الْإِيمَانِ الَّتِي صَدَرَتْ مِنْكُمْ لَغْوًا - وَهِيَ الَّتِي حَلَفَ بِهَا الْمُقْسِمُ مِنْ غَيْرِ نِيَّةٍ وَلَا قَصْدٍ، أَوْ عَقْدَهَا يَظُنُّ صِدْقَ نَفْسِهِ، فَبِإِنْ الْأَمْرُ بِخِلَافِ ظَنِّهِ - وَلَكِنْ يُعَاقِبُكُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِمَا قَصَدْتُمُوهُ مِنَ الْإِيمَانِ، فَكُفَّارَةٌ مَا حَبِثْتُمْ فِيهِ؛ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَحَاوِيجَ لَيْسَ لَدَيْهِمْ مَا يَكْفِيهِمْ، مِنْ صِنْفٍ وَسَطٍ بَيْنَ الْجَدِيدِ وَالرَّديءِ، مِمَّا تُطْعَمُونَهُ أَهْلِيكُمْ، أَوْ كِسْوَةُ عَشْرَةِ مَسَاكِينٍ، أَوْ فُكُّ عَبْدٍ مُؤْمِنٍ، فَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ عَلَى وَاحِدَةٍ مِنْ ذَلِكَ، فَيَصُومَ ثَلَاثَةَ

أَيَّامَ، وَاحْفَظُوا - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - أَيَّمَانَكُمْ عَنِ الْحَلْفِ بِاللَّهِ تَعَالَى كَذِبًا، وَعَنْ كَثْرَةِ الْحَلْفِ، وَعَنِ الْحِنْثِ فِيهَا - إِلَّا إِنْ كَانَ الْحِنْثُ خَيْرًا - وَعَنْ تَرْكِ الْكَفَّارَةِ إِذَا لَزِمَتْكُمْ، كَذَلِكَ يُوضِّحُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ؛ لِتَشْكُرُوهُ حَيْثُ عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوهُ.

يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، إِنَّ الْخَمْرَ وَالْقِمَارَ وَمَا نُصِبَ لِعِبَادَةِ غَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى، وَالْأَزْلَامَ الَّتِي يُسْتَقْسَمُ بِهَا، وَهِيَ عِبَارَةٌ عَنْ قِدَاحِ ثَلَاثَةٍ، مَكْتُوبٌ عَلَى أَحَدِهَا: «افْعَلْ»، وَعَلَى الْآخَرِ: «لَا تَفْعَلْ»، وَالثَّلَاثُ لَيْسَ عَلَيْهِ شَيْءٌ، وَقِيلَ: كَانَ يُكْتَبُ عَلَى الْوَاحِدِ مِنْهَا: «أَمْرُنِي رَبِّي»، وَعَلَى الْآخَرِ: «نَهَانِي رَبِّي»، وَالثَّلَاثُ لَيْسَ عَلَيْهِ شَيْءٌ، فَإِذَا أَجَالَهَا فَطَلَعَ السَّهْمُ الْأَمْرُ فَعَلَهُ، أَوِ النَّاهِي تَرَكَهُ، وَإِنْ طَلَعَ الْفَارِغُ أَعَادَ الْاسْتِقْسَامَ حَتَّى يَخْرُجَ أَحَدُ الْقَدَحَيْنِ الْآخَرَيْنِ فَيَعْمَلَ بِهِ! إِنَّ تِلْكَ الْأَشْيَاءَ مَا هِيَ إِلَّا خُبْتُ وَنَنْتُ، يَتَّبِعِي أَنْ تَعَاقِبَهَا النَّفُوسُ، وَهِيَ مِنْ تَزْيِينِ الشَّيْطَانِ، وَوَحْيِهِ إِلَيْكُمْ، فَاتَّبَعُوا عَنْهَا؛ لَعَلَّكُمْ تَتَّقَرُونَ بِمَا تَطْلُبُونَ، وَتَنْجُونَ مِمَّا تَرَهُبُونَ.

إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ - عَنْ طَرِيقِ شُرْبِ الْخَمْرِ وَتَعَاطِي الْقِمَارِ - أَنْ يُعَادِيَ وَيُبْغِضَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، وَأَنْ يَصْرِفَكُمْ بَغْلَبَةِ الْخَمْرِ عَلَى عُقُولِكُمْ، وَبِاشْتِغَالِكُمْ بِالْمَيْسِرِ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى، وَعَنِ الصَّلَاةِ، فَهَلْ تَمْتَنِعُونَ عَنْ ذَلِكَ بَعْدَ هَذَا الْبَيَانِ وَالْمَوْعِظَةِ؟ وَأَطِيعُوا اللَّهَ تَعَالَى، وَأَطِيعُوا رَسُولَهُ مُحَمَّدًا، وَاحْذَرُوا مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَمَعْصِيَةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِنْ أَنْتُمْ أَعْرَضْتُمْ عَنْ طَاعَتِهِمَا فَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ عَلَى مَنْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَيْكُمْ سِوَى إِبْلَاجِكُمْ رِسَالَةَ رَبِّكُمْ، وَأَمَّا إِيقَاعُ الْعِقَابِ بِكُمْ، فَعَلَى اللَّهِ تَعَالَى وَحْدَهُ.

ليس على المؤمنين الذين يعملون الأعمال الصالحة؛ إنهم فيما شربوا وأكلوا ممّا حرّم الله تعالى قبل نُزولِ تحرّيمه ومعرفته، بشرط أن يجتنبوا ما حرّم الله تعالى، ويؤمنوا به إيماناً صحيحاً، يدّعوهم إلى اكتساب الصالحات، ثم استمروا على اجتناب ما حرّم عليهم، واستمروا على الإيمان به سبحانه، دون أن يُغيّروا أو يُبدّلوا، ثم داوموا على اجتناب المحرّمات، حتّى دعاهم ذلك إلى بلوغ الإحسان في فعل الطّاعات، والله تعالى يحبّ المحسنين في عبادته، المحسنين إلى عباده.

يا أيّها المؤمنون، ليختبرنّكم الله تعالى، ببعض الصّيّد المحرّم الذي تقدّرون على أخذه بأيديكم ورماحكم، حال إحرامكم بحجّ أو عمرة؛ وذلك ليعلّم علماً ظاهراً للخلق، يترتّب عليه الثّواب والعقاب، من يخاف الله تعالى ولم يره، ومن يخاف الله تعالى في حال غيابه عن النّاس، فيطيع ربّه عزّ وجلّ، ويجتنب معصيته، فمن تجاوز حدّ الله عزّ وجلّ بعد تحرّيم الصّيّد عليه حال إحرامه، فخالف في ذلك؛ فله عذاب مؤلّم.

يا أيّها المؤمنون، إياكم أن تقتلوا صيد البرّ وأنتم مُحرمون بحجّ أو عمرة، أو كنتم داخل منطقة الحرّم، وكلّ من قتل صيداً، متعمّداً قتله، فيجب عليه ذبح مثله من بهيمة الأنعام، ويتصدّق به، ويُقدّر ذلك الجزاء، اثنان عدلان منكم من ذوي الاستقامة والمروعة، يعرفان الحكم، ووجه الشّبه، وهذا الهدّي ينبغي أن يُذبح في الحرّم، ويوزّع لحمه على مساكينه، وله - عوضاً عن ذبح الهدّي المماثل - إطعام مساكين، وله أن يصوم عن كلّ مسكين يوماً، أو جَبْنَا ذلك على قاتل الصّيّد المنهي عن قتله؛ ليذوق عقوبة ذنبه بالزامه بما يشقّ عليه، وقد تجاوز الله تعالى

عن قَتْلِكُمُ الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ قَبْلَ تَحْرِيمِهِ، فَلَا يُؤَاخِذُكُم بِهِ، وَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ بَعْدَ تَحْرِيمِهِ وَبُلُوغِ الْحُكْمِ إِلَيْهِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَأْخُذُهُ بِعَقُوبَةٍ، وَاللَّهُ مَنِيْعٌ فِي سُلْطَانِهِ، غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ، لَا يَمْنَعُهُ مِنَ الْإِنْتِقَامِ مَانِعٌ، ذُو مُعَاقِبَةٍ لِمَنْ عَصَاهُ

أَبَاحَ اللَّهُ تَعَالَى لَكُمْ فِي حَالِ جِلَّتِكُمْ وَحَرَمَكُمْ -أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ- أَكْلَ صَيْدِ الْبَحْرِ، وَهُوَ مَا أَخَذْتُمُوهُ مِنْ حَيَوَانَاتِهِ حَيًّا، وَطَعَامِ الْبَحْرِ، وَهُوَ مَيْتَتُهُ، فَتَنْتَفِعُونَ بِذَلِكَ أَكْلًا وَبَيْعًا، وَيَنْتَفِعُ بِهِ الْمَسَافِرُونَ فَيَتَزَوَّدُونَ بِهِ فِي سَفَرِهِمْ، وَيَجْلِبُونَهُ بِضَاعَةً، وَحَرَّمَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْكُمْ اخْذَ الْحَيَوَانِ الْبَرِّيِّ حَالَ إِحْرَامِكُمْ، وَاتَّقُوا سَخَطَ اللَّهِ وَعَذَابَهُ الَّذِي أَنْتُمْ إِلَيْهِ مَجْمُوعُونَ، فَيُجَازِيكُمْ عَلَى أَعْمَالِكُمْ.

صَيَّرَ اللَّهُ تَعَالَى حَرَمَهُ قِوَامًا لِلنَّاسِ، تَقَوُّمٌ بِهِ مَصَالِحُ دِينِهِمْ، مِنْ صَلَاةٍ وَحَجٍّ وَعَمْرَةٍ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَتَقَوُّمٌ بِهِ مَصَالِحُ دُنْيَاهُمْ؛ بِمَا يُجَبَى إِلَيْهَا مِنَ الثَّمَرَاتِ، وَبِمَا يَحْصُلُ فِيهِ مِنَ الْأَمْنِ، وَاجْتِمَاعِ الْمُسْلِمِينَ، وَصَيَّرَ اللَّهُ تَعَالَى الْأَشْهُرَ الْحُرْمَ قِوَامًا لِلنَّاسِ، تَقَوُّمٌ فِيهَا مَصَالِحُهُمْ بِمَا جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهَا مِنَ الْأَمْنِ بِتَحْرِيمِ الْقِتَالِ وَالظُّلْمِ، وَصَيَّرَ اللَّهُ تَعَالَى الْهَدْيَ الَّذِي يُهْدَى إِلَى الْحَرَمِ مِنْ إِبِلٍ أَوْ بَقَرٍ أَوْ غَنَمٍ تَقَرُّبًا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَالْقِلَائِدَ -وَهِيَ الْهَدْيُ الَّذِي تُجَعَلُ لَهُ قِلَائِدُ فِي عُنُقِهِ؛ إِظْهَارًا لَشُعَائِرِ اللَّهِ تَعَالَى، وَلِغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَسْبَابٍ- صَيَّرَهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ قِوَامًا لِلنَّاسِ فِي دِينِهِمْ بِالثَّوَابِ الَّذِي يَنَالُونَهُ، وَفِي دُنْيَاهُمْ بِالْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ وَالْأَكْلِ وَالْإِنْتِفَاعِ بِالْجُلُودِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ صَيَّرَ ذَلِكَ كُلَّهُ قِيَامًا لَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- لَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَأَنَّهُ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ.

اعلموا -أيُّها النَّاسُ- أنَّ رَبَّكُمْ شَدِيدُ الْأَخْذِ بِالذَّنْبِ إِذَا عَاقَبَ مَنْ عَصَاهُ، وَاَعْلَمُوا أَنَّهُ يَغْفِرُ ذُنُوبَ مَنْ تَابَ إِلَيْهِ مِنْ عِبَادِهِ، وَأَنَّهُ رَحِيمٌ بِهِمْ.

لَيْسَ عَلَى مُحَمَّدٍ -أيُّها النَّاسُ- سِوَى أَداءِ رِسَالَتِنَا إِلَيْكُمْ، وَأَمَّا أَعْمَالُكُمْ فَلَيْسَتْ مُوَكَّلَةً إِلَيْهِ، وَإِنَّمَا الَّذِي يُجَازِيكُمْ بِهَا اللَّهُ، الَّذِي يَعْلَمُ مَا تُظْهِرُونَهُ، وَمَا تُخْفُونَهُ.

قُلْ -يَا مُحَمَّدُ- لِلنَّاسِ: لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، فَلَا يَسْتَوِي الْمُؤْمِنُ وَالْكَافِرُ، وَلَا الطَّاعَةُ وَالْمَعْصِيَةُ، وَلَا الْحَلَالُ وَالْحَرَامُ، فَلَا تَعْجَبَنَّ -أيُّها الْإِنْسَانُ- مِنْ كَثَرَةِ الْخَبِيثِ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ كَانَ، وَيَا أَصْحَابَ الْعُقُولِ الصَّحِيحَةِ الرَّاشِدَةِ، اتَّقُوا سَخَطَ اللَّهِ وَعَذَابَهُ لَعَلَّكُمْ تَظْفَرُونَ بِمَا تَأْمَلُونَ، وَتَنْجُونَ مِمَّا تَحْذَرُونَ

لَا تَسْأَلُوا -أيُّها الْمُؤْمِنُونَ- عَنْ أَشْيَاءٍ لَوْ أَظْهَرَ جَوَابُهَا لَكُمْ لِسَاءَكُمْ وَشَقَّ عَلَيْكُمْ، وَلَكِنَّكُمْ إِنْ سَأَلْتُمْ عَنْهَا بَعْدَ نَزُولِ الْقُرْآنِ بِهَا، كَالسُّؤَالِ عَنْ آيَةٍ أَشْكَلَتْ، أَوْ حُكْمٍ خَفِيَ عَلَيْكُمْ وَجْهُهُ وَغَيْرِ ذَلِكَ، فَحِينَهَا يُبَيِّنُ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ عَنْهُ، كَفَّ اللَّهُ عَنْ ذِكْرِهَا فَلَمْ يُوجِبْ فِيهَا حُكْمًا، تَوْسَعَةً عَلَيْكُمْ فَاسْكُتُوا أَنْتُمْ عَنْهَا، وَاللَّهُ تَعَالَى غَفُورٌ لَذُنُوبِ عِبَادِهِ، حَلِيمٌ فَلَا يُعَاجِلُهُم بِالْعُقُوبَةِ.

قَدْ سَأَلَ تِلْكَ الْمَسَائِلَ الْمَنْهِيَّ عَنْهَا أَنَسُ سَبْقُوكُمْ، فَأَجِيبُوا عَنْهَا لَكِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَا، وَلَمْ يَعْمَلُوا بِهَا؛ فَصَارُوا بِسَبَبِهَا كَفَّارًا. لَمْ يَأْذَنْ اللَّهُ تَعَالَى بِأَنْ يُفْعَلَ بِالْأَنْعَامِ شَيْءٌ مِمَّا ابْتَدَعَهُ الْكَفَّارُ، فَلَمْ يَشْرَعْ لَهُمُ الْبَحِيرَةُ: وَهِيَ نَاقَةٌ يَشْقُونَ أَذْنَهَا، ثُمَّ يُحَرِّمُونَ رُكُوبَهَا. وَلَا السَّائِبَةُ: وَهِيَ نَاقَةٌ، أَوْ بَقَرَةٌ، أَوْ شَاةٌ، تُخْلَى؛ فَلَا تُرْكَبُ وَلَا يُحْمَلُ عَلَيْهَا، وَلَا تُؤْكَلُ وَلَا يُنْتَفَعُ مِنْهَا بِشَيْءٍ. وَلَا

الْوَصِيلَةَ: وَهِيَ الَّتِي تُحَرِّمُ أَوْ تُجْعَلُ لآلِهَتِهِمْ. وَلَا الْحَامِي: وَهُوَ جَمْلٌ يُحْمَى ظَهْرُهُ عَنِ الرُّكُوبِ وَالْحَمْلِ، لَمْ يَشْرَعْ اللَّهُ ذَلِكَ، وَلَكِنَّ الْكُفَّارَ يَفْعَلُونَهُ بِلاَ دَلِيلٍ، وَيَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى الْكَذِبَ، وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَمْلِكُونَ عَقْلاً صَحِيحاً رَاشِداً، فَيَتَسَاقُونَ إِلَى تِلْكَ الشَّرَائِعِ الْبَاطِلَةِ بِجَهْلِهِمْ.

وَإِذَا قِيلَ لِلَّذِينَ حَرَّمُوا مَا أَحَلَّ اللَّهُ تَعَالَى: هَلُمُّوا إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ؛ لِيَتَّبِعِينَ لَكُمْ شَرْعَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَمَا أَوْجَبَهُ وَحَرَّمَهُ، وَبُطْلَانُ مَا ابْتَدَعْتُمْ، قَالُوا: يَكْفِينَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ الْأَبَاءُ وَالْأَجْدَادُ، وَنَحْنُ لَهُمْ تَبَعٌ! أَيْتَّبِعُونَ أَبَاءَهُمْ حَتَّى لَوْ كَانُوا لَا يَسْتَحِقُّونَ أَنْ يُتَّبَعُوا؛ إِذْ لَا يَحْمِلُونَ عِلْماً بِشَرِيعَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَا يَعْمَلُونَ بِهَا؟ يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، أَلْزَمُوا أَنْفُسَكُمْ الْعَمَلَ بِطَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَتَرْكَ مَعْصِيَتِهِ؛ فَإِنَّهُ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ سَلَكَ غَيْرَ سَبِيلِ الْحَقِّ، إِذَا أَنْتُمْ اسْتَقَمْتُمْ عَلَى صِرَاطِ اللَّهِ تَعَالَى، وَمِنْ ذَلِكَ: قِيَامُكُمْ بِأَمْرِ النَّاسِ بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهْيِهِمْ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَلَا ضَيْرَ عَلَيْكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ إِنْ تَمَادَوْا فِي ضَلَالِهِمْ، مَا دُمْتُمْ قَدْ أَدَّيْتُمْ حَقَّ اللَّهِ تَعَالَى فِيهِمْ، إِنْ مَالَكُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَحْدَهُ، وَسَوْفَ يُخَبِّرُكُمْ بِمَا قَدَّمْتُمُوهُ، وَيُجَازِيكُمْ عَلَيْهِ.

يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمْ مُقَدِّمَاتُ الْمَوْتِ، فَكُتِبَ وَصِيَّتُهُ، فَلْيَشْهَدْ عَلَيْهَا اثْنَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، مِنْ ذَوِي الْإِسْتِقَامَةِ وَالْمَرْوَةِ، أَوْ لْيَشْهَدْ عَلَيْهَا آخَرَانِ مِنْ غَيْرِ أَهْلِ مِلَّتِكُمْ، إِنْ لَمْ يَوْجَدْ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ، وَفِي حَالِ سَفَرِكُمْ، وَإِيقَانِكُمْ بِحُضُورِ أَجْلِكُمْ، فَتُوقَفُونَ الشَّاهِدَيْنِ مِنْ غَيْرِكُمْ بَعْدَ الصَّلَاةِ، وَتُجْعَلُونَهُمَا يَحْلِفَانِ بِاللَّهِ تَعَالَى، إِنْ ظَهَرَتْ مِنْهُمَا رَيْبَةٌ فِي أَنْهُمَا خَائِنَا، فَيَحْلِفَانِ بِاللَّهِ تَعَالَى أَنَّا لَا نَبْغِي بِحِلْفِنَا هَذَا عَرَضاً مِنَ الدُّنْيَا

فكذب، ولا نُحابي أحدًا، ولا نُخفي الشَّهادةَ على الوصيَّةِ،
بتحريفها أو تبديلها، أو كتمانها؛ فإنَّ فعلنا ذلك وقَعنا في الإثمِ
مع الواقعينَ فيه.

فإنَّ ظَهَرَ أنَّهما كاذبان، فوجدَ أنَّهما خانًا من مالِ الميِّتِ شيئًا،
أو بدَّلَا وصيَّتَه، فاستوجبَا بأيَّمانهما الكاذبةَ إثمًا، فحينئذٍ يقومُ
مقامهما اثنانِ من أولياءِ الميِّتِ المستحقِّينَ للتركةِ، وليكونا من
أولى مَنْ يَرِثُه، فيحلفان بأنَّ شهادتنا أحقُّ من شهادتهما الَّتِي
كذَّبَا فيها وخانَا، وهي أصحُّ، وما تجاوزنا الحقَّ فيها؛ فإنَّا إنَّ
كذَّبنا عليهما نكونُ في عدادِ الظَّالِمِينَ، ونقتطعُ بذلك أموالَ
النَّاسِ بغيرِ حقٍّ.

هذا الفِعلُ -من تحليفِ الشَّاهدينِ إذا استُريبَ بهما- أقربُ لأنَّ
يَصْدُقُوا في شهادتهم، ويُقيموها على الوجهِ الصَّحيحِ، فلا
يَكْذِبُوا ولا يَخُونُوا، أو يَخَافُ هؤلاءِ الشُّهُودُ ألاَّ تُقْبَلَ أيَّمانُهُمْ إنَّ
ظَهَرَ كَذِبُهُمْ وخيانتُهُمْ، فتردَّ الأيمانُ إلى الورثةِ، فيحلفونَ
ويستحقُّونَ ما يَدَّعونَ، ويُفتضحُ أمرُ شهودِ الوصيَّةِ بينَ النَّاسِ،
وانتقوا اللهَ تعالى، واسمعوا ما يُقالُ لكم فاعملوا به، واللهُ تعالى
لا يُوفِّقُ للحقِّ الخارجينَ عن طاعتهِ.

اذكُرْ يومَ يَجْمَعُ اللهُ تعالى رُسُلَه في الآخرةِ، فيسألُهُم: ما الَّذِي
أجابتُكم به أَمَّكم حينَ بَلَّغْتُمُوهم الحقَّ؟ فتقولُ الرُّسُلُ: لا عِلْمَ
لنا، ولا يَخْفَى عليك يا رَبُّنا ما عِنْدنا؛ فأنتَ المَطَّلَعُ على كُلِّ
غَيْبٍ.

اذكُرْ حينَ نادَى اللهُ تعالى عيسى فقال: يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ
اذكُرْ ما أَجْرِيتهُ عَلَيْكَ وعلى والدِكَ مِنَ النِّعَمِ، حيثُ قَوَّيْتُكَ
بجبريلَ، وأَعْنَتُكَ به، تَدْعُو النَّاسَ إلى اللهِ تعالى في حالِ صِغَرِكَ

وَكَبَّرَكَ، وَعَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ، وَالْفَهْمَ وَمَعْرِفَةَ أَسْرَارِ الشَّرْعِ،
وَعَلَّمْتُكَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ، وَتُصَوِّرُ الطِّينَ، فَتَصْنَعُ مِنْهُ هَيْئَةً
طَائِرٍ بِإِذْنِي، فَتَنْفُخُ فِي تِلْكَ الصُّورَةِ، فَتَكُونُ طَائِرًا ذَا رُوحٍ
بِإِذْنِي، وَتَشْفِي مَنْ يُوَلِّدُ أَعْمَى، وَمَنْ بِهِ دَاءُ الْبَرَصِ بِإِذْنِي،
وَتُخْرِجُ الْمَوْتَى مِنْ قُبُورِهِمْ أَحْيَاءَ بِإِذْنِي، وَاذْكُرْ نِعْمَتِي فِي
صَدِّي بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ، وَقَدْ هَمُّوا بِقَتْلِكَ حِينَ جِئْتَهُمْ بِالْحُجَجِ
عَلَى رَسُولَاتِكَ، فَقَالَ كَفَّارُهُمْ: مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ جَلِيٌّ.

وَاذْكُرْ إِذْ يَسَّرْتُ لَكَ أَنْصَارًا، فَأَلْهَمْتُ الْخُلَصَّ مِنْ أَصْحَابِكَ
وَأَلْقَيْتُ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ بِي وَبِرِسُولِي، فَقَالَ الْحَوَارِيُّونَ: أَمَّا
بِمَا وَجَبَ عَلَيْنَا اعْتِقَادُهُ، وَاشْهَدْ عَلَيْنَا بِأَنَّا خَاضِعُونَ لِلَّهِ تَعَالَى،
طَائِعُونَ لَهُ.

اذْكُرْ حِينَ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ لَزِيَادَةِ اطمِنَانٍ قُلُوبِهِمْ: يَا عِيسَى
ابْنَ مَرْيَمَ، إِذَا سَأَلْتَ رَبَّكَ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْنَا مَائِدَةٌ طَعَامٍ مِنَ السَّمَاءِ
فَهَلْ يَفْعَلُ ذَلِكَ؟ فَقَالَ لَهُمْ عِيسَى: الزَّمُوا التَّقْوَى، وَلَا تَسْأَلُوا هَذَا
إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ حَقًّا، وَإِذَا كُنْتُمْ كَذَلِكَ فَمَا حَاجَتُكُمْ إِلَى هَذِهِ
الْمُعْجَزَةِ؟

قَالَ الْحَوَارِيُّونَ: إِنَّمَا أَرَدْنَا مِنْ ذَلِكَ، التَّشْرِيفَ بِالْأَكْلِ مِنْ تِلْكَ
الْمَائِدَةِ، فَنَوْقِنَ بِقُدْرَةِ اللَّهِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَتَسْكُنَ قُلُوبُنَا، وَيَسْتَقَرُّ
إِيمَانُهَا، وَنَوْقِنَ بِصِدْقِكَ، وَصِدْقَ مَا جِئْتَ بِهِ، وَنَشْهَدُ عَلَى أَنَّ
الْمَائِدَةَ آيَةٌ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَحُجَّةٌ لَنَا نُبَلِّغُهَا مَنْ لَمْ يَشْهَدْهَا.
دَعَا عِيسَى رَبَّهُ سُبْحَانَهُ مُسْتَجِيبًا لَطَلِبِ الْحَوَارِيِّينَ، فَقَالَ:
اللَّهُمَّ رَبَّنَا، أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةَ طَعَامٍ مِنَ السَّمَاءِ، نَتَّخِذُ وَقْتَ نُزُولِهَا
عِيدًا نَعْبُدُكَ فِيهِ، وَنَتَذَكَّرُهَا نَحْنُ وَمَنْ بَعْدَنَا، وَتَكُونُ حُجَّةً

وعلامَةٌ منك على عبادِكَ، وأَعْطِنَا؛ فَإِنَّكَ خَيْرُ مَنْ يُعْطِي، ولا أَحَدٌ أَكْرَمُ مِنْكَ.

قال اللهُ تَبَارَكَ وتعالى: إِنِّي مُنْزِلُهَا عَلَيْكُمْ فَمُطْعِمُكُمْوَهَا، ولكن مَنْ وَقَعَ مِنْكُمْ في الكُفْرِ بَعْدَ إِنْزَالِهَا، فَإِنِّي أَوْقِعُ عَلَيْهِ عَذَابًا شَدِيدًا، لا أَعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنْ عَالَمِي زَمَانِهِ.

واذْكُرْ -يا مُحَمَّدٌ- حِينَ يَقُولُ اللهُ تعالى لِعِيسَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَضْرَةِ النَّصَارَى تَوْبِيخًا لَهُمْ: يا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ، هل قُلْتَ بِنَفْسِكَ لِلنَّاسِ: اجْعَلُونِي أَنَا وَأُمِّي مَعْبُودَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ؟ قالَ عِيسَى: أُنْزِلْهُكَ يا رَبِّ عَنِ هَذَا الْأَمْرِ، وما يَنْبَغِي لِي أَنْ أَدَّعِي ذَلِكَ، فَإِنْ صَدَرَ مِنِّي هَذَا فَقَدْ عَلِمْتَهُ؛ فَأَنْتَ تَعْلَمُ ما أَضْمَرْتُهُ في نَفْسِي؟ ولا أَعْلَمُ أَنَا ما أَخْفَيْتَهُ عَنِّي في نَفْسِكَ، فَأَنْتَ الْعَالِمُ بِخَفَايَا الْأُمُورِ الَّتِي لا يَعْلَمُهَا سِوَاكَ.

ما قُلْتَ لَهُمْ إِلَّا الَّذِي كَلَّفْتَنِي بِإِبْلَاغِهِ، وهو أَمْرُهُمْ بِعِبَادَةِ اللهِ تعالى وَحْدَهُ، الَّذِي هو رَبِّي وَرَبُّهُمْ، وَكُنْتُ شَاهِدًا عَلَى أَعْمَالِهِمْ حِينَ كُنْتُ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ، فَلَمَّا قَبَضْتَنِي إِلَيْكَ كُنْتُ أَنْتَ الْمَطْلَعُ عَلَيْهِمْ دُونِي، وَأَنْتَ الَّذِي تَشْهَدُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، ولا يَخْفَى عَلَيْكَ شَيْءٌ.

إِنْ تُعَذِّبْهُمْ، فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ، وَأَنْتَ أَعْلَمُ بِأَحْوَالِهِمْ، فَلَوْ لا أَنْتُمْ عِبَادٌ مُسْتَحَقُّونَ لِلْعَذَابِ لَمْ تُعَذِّبْهُمْ، وَهُمْ مُسْتَسْلِمُونَ لَكَ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا؛ فلا يَقْدِرُونَ على الْامْتِناعِ مِمَّا أَرَدْتَ بِهِمْ، وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ، فَذَلِكَ صَادِرٌ عَنِ تَمَامِ عِزَّتِكَ -عِزَّةُ الْقَدْرِ وَالْقَهْرِ وَالْغَلْبَةِ وَالْامْتِناعِ-، لا عَنْ عَجْزٍ وَذِلٍّ وَضَعْفٍ؛ فَإِنَّكَ إِنْ أَرَدْتَ الْانْتِقَامَ مِنْهُمْ؛ فلا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَمْنَعَ عَنْكَ ذَلِكَ، لِأَنَّكَ الْعَزِيزُ، وَصَادِرٌ

عن حِكْمَةٍ؛ فَمِنْ مُقْتَضَى حِكْمَتِكَ أَنْ تَغْفِرَ لِمَنْ أَتَى بِأَسْبَابِ
المَغْفِرَةِ.

قال الله تعالى مُجِيبًا لِعِيسَى: هذا هو الوقت الذي يَجِدُ فيه
الصَّادِقُونَ ثَمَرَةَ صِدْقِهِمْ، ولهم جَنَاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِ أَشْجَارِهَا
وَقُصُورُهَا الْأَنْهَارُ، مَا كَثِيرٌ فِيهَا عَلَى الدَّوَامِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ،
وَرَضُوا هُمْ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى، وَذَلِكَ الظَّفَرُ الَّذِي لَا أَعْظَمُ مِنْهُ.
لِلَّهِ وَحْدَهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ، وَلَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ
أَرَادَهُ.

جميعُ المحامِدِ يَسْتَحِقُّهَا اللَّهُ تَعَالَى وَحْدَهُ، الَّذِي أَوْجَدَ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ، كَاللَّيْلِ
وَالنَّهَارِ، وَمَعَ ذَلِكَ، كَفَرَ بِهِ بَعْضُ عِبَادِهِ، وَجَعَلُوا مَعَهُ شَرِيكًا فِي
عِبَادَتِهِ.

هُوَ الَّذِي أَوْجَدَ أَصْلَكُمْ مِنْ طِينٍ، بَخَلَقَ أَبَيْكُمْ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ،
ثُمَّ حَدَّدَ لِإِقَامَتِكُمْ فِي الدُّنْيَا وَقْتًا مُعَيَّنًا، وَحَدَّدَ لِلدُّنْيَا وَقْتًا لِنَهَايَتِهَا،
لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا هُوَ، ثُمَّ إِنَّكُمْ مَعَ ذَلِكَ تَشْكُونَ فِي وَقُوعِ الْبَعْثِ.
وَهُوَ الْمَعْبُودُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ، يَعْلَمُ جَمِيعَ مَا
تُسِرُّونَهُ وَمَا تُعْلِنُونَهُ، وَيَعْلَمُ جَمِيعَ مَا تَعْمَلُونَهُ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ،
وَيُجَازِيكُمْ بِهِ فِي الْآخِرَةِ.

وَمَا يَأْتِي هَؤُلَاءِ الْكَفَّارَ وَالْمُشْرِكِينَ الْمَكْذِبِينَ مِنْ عِلَاقَةٍ عَلَى
وَحْدَانِيَّتِهِ تَعَالَى، وَصَدَقَ رُسُلُهُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ؛ إِلَّا أَعْرَضُوا
عَنْهَا، غَيْرَ مُبَالِغِينَ بِهَا.

إِعْرَاضُهُمْ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَدَّى بِهِمْ إِلَى التَّكْذِيبِ
بِمَا جَاءَهُمْ مِنْ عِنْدِهِ، وَسَوْفَ تَأْتِيهِمْ أَخْبَارُ اسْتِهْزَائِهِمْ بِذَلِكَ،
وَسَيَجِدُونَ عِقَابَهُ.

أَلَمْ يَعتَبِرُوا بِالْأَمَمِ الْمَاضِيَةِ، فَيَرَوْا كَثْرَةَ مَنْ دَمَرَتْ مِنْهُمْ،
وَقَدْ وَطَّأَتْ لَهُمُ الْبِلَادُ تَوَطُّنَةً لَمْ تَكُنْ لَكُمْ أَيْهَا الْكَافِرُونَ؛ وَجَعَلْنَا
الْمَطَرَ يَتَّبَعُ نَزْلُهُ عَلَيْهِمْ، وَأَجْرَيْنَا لَهُمُ الْأَنْهَارَ مِنْ تَحْتِ
أَشْجَارِهِمْ وَمَسَاكِينِهِمْ، فَدَمَرْنَا هُمْ؛ بِسَبَبِ ذُنُوبِهِمْ، وَأَحْدَثْنَا بَعْدَهُمْ
جِيلًا آخَرَ.

وَلَوْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدٌ كَلَامًا مَكْتُوبًا فِي صَحِيفَةٍ، يَلْمُسُونَهَا
بِأَيْدِيهِمْ، بِمَا يَرْفَعُ عَنْهُمْ كُلَّ شَيْءٍ، لَقَالَ الْكَافِرُ جُودًا وَعِنَادًا: مَا
هَذَا إِلَّا سِحْرٌ بَيْنُنَا، سَحَرْتَنَا بِهِ!

وَقَالُوا أَيْضًا: هَلَّا أَنْزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ مَلَكٌ نَرَاهُ، وَيَشْهَدُ لَهُ
وَيُصَدِّقُهُ؟ فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا وَفَقَ اقْتِرَاحَهُمْ،
لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ عَاجِلًا، إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا، وَلَنْ يُمَهِّلُوا حَتَّى يَتُوبُوا.
وَلَوْ جَعَلْنَا الْمُرْسَلِ إِلَيْهِمْ مَلَكًا كَمَا طَلَبُوا لَجَعَلْنَاهُ عَلَى هَيْئَةِ
رَجُلٍ؛ تَسْهَلُ مُخَاطَبَتُهُ، وَيُمْكِنُ التَّلَقِّيُ مِنْهُ؛ إِذْ لَيْسَ بِإِمْكَانِهِمْ
رُؤْيَا الْمَلِكِ عَلَى صَوْرَتِهِ الْحَقِيقِيَّةِ، وَلَوْ جَاءَهُمْ بِصُورَةِ رَجُلٍ
لَا شَتَبَهُ الْأَمْرَ عَلَيْهِمْ، كَمَا أَشْتَبَاهُ أَمْرُ مُحَمَّدٍ ﷺ؛ فَلَا جَدْوَى
إِذَنْ مِنْ إِرْسَالِ مَلَكٍ.

قَدْ سَخِرَتْ أُمَمٌ بِرُسُلِهَا مِنْ قَبْلِكَ يَا مُحَمَّدُ، فَحَلَّ بِأُولَئِكَ
السَّاحِرِينَ الْعَذَابُ.

قُلْ -يَا مُحَمَّدُ- لِكُفَّارِ قَوْمِكُمْ: تَنْقَلُّوا فِي بِلَادِ أُولَئِكَ الْمَكْذِبِينَ
مِثْلَكُمْ؛ وَانْظُرُوا مَا حَلَّ بِهَا مِنْ خَرَابٍ، وَتَفَكَّرُوا كَيْفَ أَعْقَبَهُمْ
تَكْذِيبُهُمْ ذَلِكَ الْهَلَاكَ؛ فَاعْتَبِرُوا، وَاحْذَرُوا.

قُلْ -يَا مُحَمَّدُ- لِهَؤُلَاءِ الْمَكْذِبِينَ: لِمَنْ مَلِكٌ مَا فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ؟ قُلْ: ذَلِكَ لِلَّهِ تَعَالَى، الَّذِي أَوْجَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ
فَوَسَّعَتْ كُلَّ شَيْءٍ، غَيْرَ أَنَّ ذَلِكَ لَا يَعْنِي إِهْمَالَ مُحَاسِبَتِهِ لَهُمْ

ومجازاتهم على أعمالهم وذلك لا شك كائن يوم القيامة، والذين كفروا بالحق أهلكوا أنفسهم، فليس لديهم الإيمان الذي ينالون به الرحمة الإلهية في الآخرة فينجون من عذاب الله.

وله عز وجل مُلْكُ كُلِّ شَيْءٍ؛ فكل مخلوق قد حلَّ واستقرَّ في ليلٍ أو نهارٍ؛ وهو تحت قَهْرِهِ وتَصْرُفِهِ سبحانه، السَّمِيعُ لجميع الأصوات، الْعَلِيمُ بكلِّ شَيْءٍ.

قُلْ -يا مُحَمَّدٌ-: أَجْعَلْ غَيْرَ اللَّهِ تَعَالَى؛ مِنْ هَذِهِ الْمَخْلُوقَاتِ الْعَاجِزَةِ، وَلَيْتَا أَسْتَنْصِرَهُ وَأَسْتَعِينَ بِهِ وَهُوَ الرِّزَاقُ لِمَجْمُوعِ خَلْقِهِ، مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ مِنْهُ إِلَيْهِمْ؟!

قُلْ -يا مُحَمَّدٌ-: أَمَرَنِي رَبِّي أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ يَخْضَعُ لَهُ سُبْحَانَهُ بِالتَّوْحِيدِ، وَيُنَادِي لَهُ بِالطَّاعَةِ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَأَلَا أَكُونَ مِنَ الْمَشْرُكِينَ.

قُلْ -يا مُحَمَّدٌ-: إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ الْقِيَامَةِ، فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي يَعْظُمُ هَوْلُهُ.

مَنْ يُصِرْفَ عَنْهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَقَدْ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْحَقِيقِيُّ.

وَإِنْ يُصِيبَكَ اللَّهُ -يا مُحَمَّدٌ- بِشِدَّةٍ وَضِيقٍ، فَلَنْ يَرْفَعَ ذَلِكَ عَنْكَ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى وَحْدَهُ، وَإِنْ يُصِيبَكَ بِأَيِّ خَيْرٍ كَانَ، فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَادِرٌ، فَلَا يُعْجِزُهُ أَنْ يُعْطِيكَ مِنَ الْخَيْرِ؛ وَلَا يَقْدِرُ أَحَدٌ عَلَى رَدِّهِ عَنْكَ.

وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ الْعَالِي عَلَى خَلْقِهِ؛ ذَاتًا وَقَدْرًا وَقَهْرًا، الْحَكِيمُ فِي جَمِيعِ مَا يَفْعَلُهُ، الْخَبِيرُ الْمَطَّلَعُ عَلَى جَمِيعِ السَّرَائِرِ.

قُلْ -يا مُحَمَّدٌ- لَهُوْلَاءِ الْمَكْذِبِينَ: أَيُّ شَيْءٍ أَعْظَمُ شَهَادَةً عَلَى صِدْقِي؟ إِنَّ أَكْبَرَ الْأَشْيَاءِ شَهَادَةً هُوَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، الَّذِي لَا

يَجُوزُ أَنْ يَقَعَ فِي شَهَادَتِهِ السَّهْوُ وَالخَطَأُ وَالْكَذِبُ، فَهُوَ الشَّهِيدُ بِالْمَحَقِّ مِنَّا مِنَ الْمَبْطَلِ. وَقَدْ أَوْحَى اللَّهُ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ مِنَ الْعَذَابِ، وَأُنْذِرَ كُلَّ مَنْ بَلَغَهُ الْقُرْآنُ.

فهل تشهدون بأنَّ مع الله تعالى معبوداتٍ أخرى، تستحقُّ العبادة؟ فأنا لا أشهدُ معَكُمْ على ذلك، إنما هو معبودٌ واحدٌ، مُنفردٌ باستحقاقِ العبوديَّةِ، وإنِّي بريءٌ من كلِّ شريكٍ تعبُدونه مع الله تعالى.

الَّذِينَ أُوتُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى يَعْرِفُونَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا يَعْرِفُ أَحَدُهُمْ ابْنَهُ، دُونَ أَدْنَى شَيْءٍ، فَالَّذِينَ أَهْلَكُوا أَنْفُسَهُمْ، وَأَلْقَوْهَا فِي جَهَنَّمَ؛ بِإِنْكَارِهِمُ الرِّسَالَةَ الْمَحْمُودِيَّةَ، قَدْ خَسِرُوا كُلَّ الْخَسَارَةِ.

لَا أَحَدٌ أَشَدُّ ظُلْمًا مِمَّنْ تَقُولُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، كَمَنْ زَعَمَ أَنَّ لَهُ شَرِيكًا، أَوْ كَذَّبَ بِحُجَجِهِ. وَكُلُّ ظَالِمٍ لَا يَفْلَحُ أَبَدًا.

وَيَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ تَعَالَى جَمِيعَ الْمُشْرِكِينَ، الْمَكْذِبِينَ، ثُمَّ يَقُولُ تَوْبِيخًا لَهُمْ: أَيْنَ شُرَكَائُكُمْ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَدْعُونَ أَنَّهُمْ آلِهَةٌ مَعَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ؟

ثُمَّ بَعْدَ هَذَا السُّؤَالِ الَّذِينَ امْتَحِنُوا بِهِ لَمْ يَكُنْ جَوَابُهُمْ عَلَيْهِ، إِلَّا خَلَفَهُمْ كَذِبًا أَنَّهُمْ مَا كَانُوا مُشْرِكِينَ.

انظُرْ -يَا مُحَمَّدُ- وَتَأَمَّلْ كَيْفَ كَذَبَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ فِي الْآخِرَةِ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِنَفْيِهِمُ الشِّرْكَ عَنْهَا، وَغَابَ عَنْهُمْ الشُّرَكَاءُ الَّذِينَ رَعَوْهُمْ مَعَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ فَلَمْ يُغْنُوا عَنْهُمْ شَيْئًا.

وَمِنْ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ مَنْ يَسْتَمِعُ لِتِلَاوَتِكَ يَا مُحَمَّدُ، وَوَضَعْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَغْشِيَةً؛ لئَلَّا يَعْقِلُوا كَلَامَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ؛ بِسَبَبِ مُبَادَرَتِهِمْ إِلَى الْكُفْرِ، وَتَكْذِيبِ الرُّسُلِ، وَجَعَلْنَا فِي آذَانِهِمْ صَمَمًا

عن السَّماعِ النَّافعِ. وَمَهْمَا يَرِ هَوْلًا مِّنَ الدَّلالاتِ، لا يَنفادُوا إليها، ولا يُصدِّقوا ويُفِرُّوا بها، حتَّى إذا حضروا إليك -يا محمد- وحاجُّوك في الحقِّ بالباطل، قالوا لك: ما هذا الَّذي جِئْتَ بِهِ إِلَّا أشياء مأخوذة مِّن كُتُبِ السَّابِقِينَ المَسطورة، وليست مِّن الله تعالى.

والمشركون بالله تعالى يَنهَوْنَ النَّاسَ عن اتِّباعِ الحقِّ، ويَبْتَدِعُونَ بأنفسِهِم عنه؛ فهم لا يَتَنَفَّعُونَ بالحقِّ، ولا يَتَرَكُون أَحَدًا يَتَنَفَّعُ به، ولا يعودُ وَبَالَ ذلك إِلَّا عليهم، لكنَّهُم لا يَشْعُرُونَ. ولو رأيتَ -يا محمد- هؤلاء الكفَّارَ، وقد أوقِفُوا يومَ القِيامةِ على النَّارِ، لَرَأيتَ أمرًا عَظيمًا، ويقولُ هؤلاء المشركون حينذاك: يا ليتنا نَعادُ إلى الدُّنيا وَلنْ نُكذِّبَ بِالْأدلةِ الَّتِي جاءَتْنا مِن رَبِّنا، ونكونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ حَقًّا.

زَعَمُهم أَنَّهُم لو رُدُّوا إلى الدُّنيا لَأَمَنُوا؛ ليس صحيحًا، فقد كانوا يَعْلَمُونَ صِحَّةَ ما جاءَهُم مِنَ الحقِّ، ولكنَّهُم كانوا يُخَفُونَ ذلك في أنفُسِهِم؛ ظِلْمًا وعنادًا. ولو رُدُّوا إلى الدُّنيا، فَأَمْهَلُوا؛ لَرَجَعُوا إلى ما كانوا عليه مِنَ الكُفْرِ والعِصيانِ، فهم كاذِبُونَ.

وقال أولئك المشركون: لا تُوجَدُ حياةٌ أُخرى سِوَى الحياةِ الَّتِي نَعِيشُها في الدُّنيا، وما نحنُ بخارجين مِنَ قُبُورِنا، وما نَمَّ حسابٌ ولا ثوابٌ ولا عِقابٌ!

ولو رأيتَ -يا محمد- أولئك المشركين، وقد أوقِفُوا بَيْنَ يَدَيِ الله تعالى، لَرَأيتَ أمرًا فظيعةً، واللهُ تعالى يقولُ لَهُم مَوْبِخًا: أليسَ هذا البعثُ الَّذي كنْتُمْ تَنكِرُونَهُ في الدُّنيا حَقًّا ثابتًا؟! فيكونُ جوابُهُم: واللهُ إِنَّهُ لَحَقُّ ثابتٌ، فيقولُ اللهُ تعالى: فذُوقُوا العَذابَ اليَوْمَ جزاءً على كُفْرِكُمْ.

قَدْ خَابَ وَحُرِمَ الْخَيْرَ كُلَّهُ، الَّذِينَ أَنْكَرُوا لِقَاءَ اللَّهِ تَعَالَى
لِلْحِسَابِ، وَنِيلَ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، وَقَدْ أَوْجِبَ لَهُمْ ذَلِكَ تَرَكَّ
الطَّاعَاتِ، وَاقْتَرَفَ الْمَحْرَمَاتِ، وَحِينَ تَأْتِيهِمُ السَّاعَةُ الَّتِي
يَبْعَثُهَا اللَّهُ فِيهَا مِنْ قُبُورِهِمْ فَجَاءَ يَقُولُونَ تَحَسُّرًا: مَا أَعْظَمَ نَدَامَتَنَا
عَلَى تَقْرِيطِنَا فِي الْإِسْتِعْدَادِ لِهَذَا الْيَوْمِ! وَهَؤُلَاءِ يَحْمِلُونَ آثَامَهُمْ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى ظُهُورِهِمْ، وَيُنْسَ مَا حَمَلُوهُ!

وَلَيْسَتْ هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا بِشَهَوَاتِهَا وَمَتَاعِهَا سِوَى لَعِبٍ
وَلَهْوٍ، وَأَمَّا الْآخِرَةُ فَهِيَ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا لِلْمُتَّقِينَ، أَفَلَيْسَتْ لَكُمْ -
أَيُّهَا الْمَكْذِبُونَ بِالْبَعْثِ- عُقُولٌ تُدْرِكُونَ بِهَا حَقِيقَةَ كُلِّ دَارٍ، وَأَيُّهُمَا
أَوْلَى بِالْإِيثَارِ؟!

قَدْ عَلِمْنَا يَا مُحَمَّدٌ أَنَّهُ يَحْزَنُكَ مَا يَقُولُهُ الْمُشْرِكُونَ، فَلَا تَظُنَّ
أَنَّ كَلَامَهُمْ صَادِرٌ عَنْ شَكٍّ فِي صِدْقِكَ، وَمَا جِئْتَ بِهِ؛ وَلَكِنَّ
هَؤُلَاءِ الْكَافِرِينَ يَجْحَدُونَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ظُلْمًا
وَعِنَادًا.

وَلَقَدْ كَذَّبَ كَفَّارُ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ -يَا مُحَمَّدُ-،
فَصَبَرُوا عَلَى مَا نَالَهُمْ مِنَ التَّكْذِيبِ وَالْأَذَى، وَمَضَوْا فِي
دَعْوَتِهِمْ، حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَلَا أَحَدٌ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُغَيِّرَ
كَلِمَاتِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ وَعْدِهِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُؤْمِنِينَ بِالنَّصْرِ عَلَى مَنْ
خَالَفَهُمْ، وَلَقَدْ جَاءَتْكَ -يَا مُحَمَّدُ- قَصَصُ وَأَخْبَارُ الْمُرْسَلِينَ،
وَعَلِمْتَ كَيْفَ نُصِرُوا عَلَى مَنْ كَذَّبَهُمْ؛ فَلَمْ فِي صَبْرِهِمْ أُسُوءَةً،
وَفِي أَخْبَارِهِمْ تَثْبِيثٌ، وَاطْمِنَانٌ.

وَإِنْ كَانَ عَظُمَ وَشَقَّ عَلَيْكَ -يَا مُحَمَّدُ- إِعْرَاضُ هَؤُلَاءِ
الْمُشْرِكِينَ عَنْ اتِّبَاعِ الْحَقِّ؛ لِجَرِّصِكَ عَلَى إِيْمَانِهِمْ، فَإِنْ قَدَرْتَ
عَلَى أَنْ تَتَّخِذَ سِرْدَابًا تَنْفُذُ بِهِ إِلَى بَاطِنِ الْأَرْضِ، أَوْ تَطْلُبَ

مِصْنَعًا إِلَى السَّمَاءِ؛ لَتَأْتِيَهُمْ بَبْرَهَانٌ عَلَى صِدْقِكَ؛ فافْعَلْ. وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى لَجَمَعَ أَوْلَئِكَ الْمَكْذِبِينَ عَلَى الْإِسْتِقَامَةِ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَفْعَلْ؛ وَفَقًّا لِمَا تَقْتَضِيهِ حِكْمَتُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ لَا يَعْرِفُونَ حَقَائِقَ الْأُمُورِ، وَسُنَّنَ اللَّهُ تَعَالَى فِي خَلْقِهِ، فَيَكْثُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ، وَتَحْزَنَ لِعَدَمِ إِيْمَانِهِمْ.

إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ لِدَعْوَتِكَ -يَا مُحَمَّدٌ- مَنْ يَعِي الْكَلَامَ بِقَلْبِهِ، فَيُنْقِذُ لَكَ، وَأَمَّا هَؤُلَاءِ الْكُفَّارُ الْمَعْرُضُونَ عَنْكَ فَهُمْ أَمْوَاتُ الْقُلُوبِ، فَلَا تُرَجَى مِنْهُمْ اسْتِجَابَةٌ، وَسَيُخْرِجُهُمُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ قُبُورِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِمَجَازَاتِهِمْ.

وَقَالَ الْمَشْرُكُونَ؛ عِنَادًا وَتَعَنُّتًا: هَلَّا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ بَرَهَانٌ مِنْ رَبِّهِ، يَدُلُّ عَلَى صِدْقِهِ؟ فَقُلْ لَهُمْ -يَا مُحَمَّدٌ- إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْزِلَ مَا تَطْلُبُونَ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ الَّذِينَ يَسْأَلُونَ ذَلِكَ لَا يَدْرُونَ مَا حِكْمَةُ تَرْكِ إِنْزَالِهِ عَلَيْكَ؛ فَلَوْ جَاءَتْهُمْ الْآيَاتُ وَفَقَّ مَا طَلَبُوا ثُمَّ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَا، لَعُوجِلُوا بِعُقُوبَةٍ مَدْمَرَةٍ، كَمَا وَقَعَ لِلْأُمَمِ السَّابِقَةِ.

كُلُّ مَا يَدْبُ فِي الْأَرْضِ، وَمَا يَطِيرُ فِي جَوِّ السَّمَاءِ، إِنَّمَا هُوَ أَصْنَافٌ مِثْلُكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ؛ خَلَقْنَاهَا، وَرَزَقْنَاهَا، وَلَهَا آجَالٌ مُحَدَّدَةٌ، وَهِيَ أَنْوَاعٌ تَخْتَلِفُ فِي أَحْجَامِهَا، وَأَلْوَانِهَا، وَلُغَاتِهَا، وَقُدْرَاتِهَا، وَغَيْرَ ذَلِكَ؛ كَمَا هُوَ وَاقِعٌ بَيْنَكُمْ، وَمَا أَهْمَلْنَا فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ شَيْئًا، بَلْ جَمِيعُ الْأَشْيَاءِ صَغِيرُهَا وَكَبِيرُهَا، حَتَّى أَصْنَافِ الدَّوَابِّ وَغَيْرِهَا؛ مُثَبَّتَةٌ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، فَلَا يَنْسَى وَاحِدًا مِنْهَا مِنْ رِزْقِهِ وَتَدْبِيرِهِ، وَإِنَّ كُلَّ دَابَّةٍ وَكُلَّ طَائِرٍ مُحْشُورٌ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بَعْدَ انْقِضَاءِ الدُّنْيَا، وَكَذَلِكَ جَمِيعُ الْأُمَمِ تُحْشَرُ إِلَى اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُجَازِيهِمْ بِعَذْلِهِ وَإِحْسَانِهِ سُبْحَانَهُ.

إِنَّ الْمَكْذِبِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ، لَا يَسْمَعُونَ الْحَقَّ سَمَاعًا يَنْتَفِعُونَ بِهِ، وَلَا يَنْطِقُونَ بِهِ، وَهُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْكُفْرِ، لَا يُبْصِرُونَ، فَلَا يَعْتَبِرُونَ وَلَا يَهْتَدُونَ، وَمَنْ يَشَأْ اللَّهُ تَعَالَى إِضْلَالَهُ أَضْلَلَهُ، وَمَنْ يَشَأْ اللَّهُ تَعَالَى هِدَايَتَهُ، فَإِنَّهُ يَهْدِيهِ إِلَى الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ، وَذَلِكَ بِحَسَبِ مَا تَقْتَضِيهِ حُكْمَتُهُ.

قُلْ - يَا مُحَمَّدٌ -: أَخْبِرُونِي أَيُّهَا الْكَفَّارُ، إِنْ جَاءَتْكُمْ بَلِيَّةٌ مِنَ الْبَلَايَا، فَرَأَيْتُمْ الْمَوْتَ عَيَانًا، أَوْ جَاءَتْكُمْ السَّاعَةُ الَّتِي تُبْعَثُونَ فِيهَا مِنْ قُبُورِكُمْ، هَلْ سَتَدْعُونَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ وَالْكَرْبِ أَحَدًا غَيْرَ اللَّهِ؛ لِإِنجَائِكُمْ، إِنْ كُنْتُمْ مُحِقِّينَ فِي اتِّخَاذِكُمْ آلِهَةً مَعَهُ؟

مَا أَنْتُمْ - أَيُّهَا الْمَشْرُكُونَ بِاللَّهِ - بِمُسْتَغِيثِينَ بِشَيْءٍ غَيْرِ اللَّهِ فِي حَالِ الشَّدَائِدِ؛ لِأَنَّكُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ الَّذِي بِيَدِهِ وَحْدَهُ إِزَالَتُهَا، فَيُفَرِّجُ عَنْكُمْ رَبُّكُمْ عِنْدَ تَضَرُّعِكُمْ إِلَيْهِ، إِنْ شَاءَ ذَلِكَ بِحَسَبِ مَا تَقْتَضِيهِ حُكْمَتُهُ تَعَالَى، وَتَنْسَوْنَ حِينَ تَأْتِيَكُمُ الشَّدَائِدُ مَا تَشْرُكُونَهُ مَعَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا - يَا مُحَمَّدٌ - رُسُلًا إِلَى أُمَمٍ سَابِقَةٍ، فَأَمَرْنَاهُمْ وَنَهَيْنَاهُمْ، فَكَذَّبُوا رُسُلَنَا، وَخَالَفُوا أَمْرَنَا وَنَهْيَنَا، فَامْتَحَنَاهُمْ بِالْفَقْرِ، وَالْأَمْرَاضِ؛ لِيَتَضَرَّعُوا إِلَيَّ، وَيُخْلِصُوا لِيَ الْعِبَادَةِ.

فَهَلَّا حِينَ ابْتَلَيْنَاهُمْ تَضَرَّعُوا إِلَيْنَا، فَيُصْرَفَ عَنْهُمْ الْعَذَابُ؟ وَلَكِنْ قُلُوبُهُمْ صَلَبَتْ، فَلَمْ تَلِنْ لِلْحَقِّ، وَحَسَنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَهُ مِنَ الْأَعْمَالِ الَّتِي يَكْرَهُهَا اللَّهُ وَيَسْخَطُهَا مِنْهُمْ.

فَلَمَّا تَعَمَّدُوا تَرَكَ الْعَمَلَ بِمَا أَمَرُوا بِهِ عَلَى أَلْسِنَةِ الرُّسُلِ، وَأَعْرَضُوا عَمَّا ذُكِّرُوا بِهِ مِنَ الْبِأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ فَتَحْنَا أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ كُنَّا أَغْلَقْنَا بَابَهُ عَلَيْهِمْ، فَبَدَّلْنَا مَكَانَ الْبِأْسَاءِ الرِّخَاءِ، وَمَكَانَ الضَّرَّاءِ الصِّحَّةِ؛ اسْتَدْرَاجًا لَهُمْ، إِلَى أَنْ فَرَحُوا بِمَا أُعْطُوا مِنْ

السَّعَةِ وَالصِّحَّةِ فَرَحَ أَشْرٍ وَبَطَرٍ، فَأَتَيْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَجَاءَ، فَإِذَا هُمْ آيِسُونَ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ.

فَاسْتَوْصِلَ أَوْلَئِكَ الْمَشْرُكُونَ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ أَحَدٌ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَعَالَى عَلَى مَا قَضَاهُ وَقَدَّرَهُ؛ مِنْ هَلَاكِ الْمُكَذِّبِينَ.

قُلْ -يَا مُحَمَّدٌ- لِهَؤُلَاءِ الْمَشْرُكِينَ: إِنْ أَصَمَّكُمْ اللَّهُ وَأَعَمَّكُمْ، وَطَبَعَ عَلَى قُلُوبِكُمْ، فَصَرْتُمْ بِلَا عَقْلِ، هَلْ تَمَّ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَقْدِرُ عَلَى رَدِّ ذَلِكَ إِلَيْكُمْ؟ انْظُرْ -يَا مُحَمَّدٌ- كَيْفَ تُتَابِعُ عَلَيْهِمُ الْحُجَجَ وَتُنَوِّعُهَا، وَتَضْرِبُ لَهُمُ الْأَمْثَالَ وَتُبَيِّنُهَا؛ لِيَعْتَبِرُوا وَيَذْكُرُوا، ثُمَّ هُمْ مَعَ ذَلِكَ يُعْرِضُونَ، وَعَنِ الْحَقِّ يَنْصَرِفُونَ.

قُلْ -يَا مُحَمَّدٌ- لِهَؤُلَاءِ الْمَشْرُكِينَ: إِنْ أَتَاكُمْ عِقَابُ اللَّهِ بِسَبَبِ شُرَكَكُمْ، فَجَاءَ، وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ، أَوْ أَتَاكُمْ عِقَابُهُ وَأَنْتُمْ تُعَايِنُونَهُ ظَاهِرًا بَعْدَ أَنْ تَرَوْا مُقَدِّمَاتِهِ، لَا يُهْلِكُ اللَّهُ مَنًّا وَمِنْكُمْ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ غَيْرَهُ.

وَمَا نُرْسِلُ رُسُلَنَا إِلَّا بِبِشَارَةٍ مَنِ اطَّاعَهُم بِالْخَيْرَاتِ، وَالْجَنَّاتِ، وَبِإِنْذَارٍ مَنِ عَصَاهُمْ بِالنِّيرَانِ، وَالْعُقُوبَاتِ، فَمَنْ آمَنَ قَلْبُهُ بِالْحَقِّ، وَأَصْلَحَ عَمَلُهُ بِالْإِخْلَاصِ لِلَّهِ تَعَالَى وَاتَّبَعَ رِسْلَهُ؛ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِ فِيمَا يَسْتَقْبِلُ، وَلَا يَحْزَنُ عَلَى مَا مَضَى.

وَأَمَّا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ، فَإِنَّهُمْ يَنَالُهُمُ الْعَذَابُ؛ جَزَاءً لَهُمْ عَلَى كُفْرِهِمْ، وَخُرُوجِهِمْ عَنْ أَوْامِرِ اللَّهِ تَعَالَى، وَارْتِكَابِ مَنَاهِيهِ.

قُلْ -يَا مُحَمَّدٌ- لِهَؤُلَاءِ الْمَشْرُكِينَ: لَسْتُ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي أَمْلِكُ خَزَائِنَ رِزْقِ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَا أَقُولُ لَكُمْ: إِنِّي أَعْلَمُ غُيُوبَ الْأَشْيَاءِ الْخَفِيَّةِ، وَلَا أَدْعِي أَنِّي مَلَكٌ، فَمَا أَتَّبِعُ إِلَّا وَحْيَ اللَّهِ دُونَ أَنْ أُخْرَجَ عَنْهُ أَبَدًا. وَقُلْ -يَا مُحَمَّدٌ- لَهُمْ: هَلْ يَسْتَوِي الَّذِي عَمِيَ عَنِ الْحَقِّ وَأَعْرَضَ عَنْهُ، مَعَ مَنْ أَبْصَرَ الْحَقَّ وَانْقَادَ إِلَيْهِ؟ أَتُعْرِضُونَ عَنِ

تلك الآيات، فلا تتفكرونها فيها؛ لتعلموا صحة دعوتي، وتنفادوا للحق؟!!

وأُنزِر بهذا القرآن -يا محمد- مَنْ يَنْتَفِعُ بِهِ حَقًّا، وهم الَّذِينَ يخافون الحشرَ إلى رَبِّهم، والحالُ أَنَّهُ ليس لهم يَوْمٌ مِنْ عَذَابِ الله -إِنْ عَذَّبَهُمْ- وَلِيٍّ مِنْ دُونِ اللهِ يَنْصُرُهُمْ، ولا شَفِيعٍ يَتَوَسَّلُ لَهُمْ فَيُخَلِّصُهُمْ، فَأُنزِرُهُمْ كِي يَتَّقُوا سَخَطَ اللهِ تَعَالَى وَعَذَابَهُ.

ولا تُقْصِرْ -يا محمد- أُولَئِكَ الَّذِينَ يَلْزَمُونَ دُعَاءَ رَبِّهم، فِي أَوَّلِ النَّهَارِ وَآخِرِهِ؛ طَلَبًا لَوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، فَاجْعَلْهُمْ جُلَسَاءَكَ، وَاعْلَمْ أَنَّ لِكُلِّ مِنْكُمْ حَسَابُهُ عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَحْدَهُ؛ فَلَهُ عَمَلُهُ الصَّالِحُ، وَعَلَيْهِ عَمَلُهُ الطَّالِحُ، وَلَسْتَ مُحَاسِبًا -يا محمد- بِمَا يَفْعَلُ ضَعْفَاءُ أَصْحَابِكَ، وَهُمْ لَيْسُوا مُحَاسِبِينَ بِمَا تَفْعَلُ؛ حَتَّى يَكُونَ ذَلِكَ سَبَبًا فِي طَرْدِهِمْ، فَإِنْ طَرَدْتَهُمْ فَإِنَّكَ مِنَ الظَّالِمِينَ.

وكذلك أيضًا يَبْتَلِي اللهُ تَعَالَى النَّاسَ، بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ، فَإِذَا مَنَّ اللهُ بِالْإِيمَانِ عَلَى الْفَقِيرِ أَوْ الْوَضِيعِ؛ كَانَ ذَلِكَ مَحَنَةً لِلْكَافِرِ الْغَنِيِّ أَوْ الشَّرِيفِ، وَإِنَّمَا اخْتَبَرَ اللهُ النَّاسَ بِذَلِكَ؛ كِي يَقُولَ مَنْ أَضَلَّهُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ: أَهْوََاءُ مَنْ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا بِالْهُدَايَةِ إِلَى الْحَقِّ، وَهُمْ ضَعَفَاءُ أَذِلَّاءُ، وَنَحْنُ أَقْوِيَاءُ شُرَفَاءُ؟ كَلَّا! فَلَوْ كَانَ خَيْرًا لَهَدَيْنَا نَحْنُ إِلَيْهِ؛ لَأَتْنَا أَوَّلَى مِنْهُمْ! فَردَّ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ بِأَنَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ شَكَرَ نِعْمَتَهُ؛ فَيَهْدِيهِ؛ جَزَاءً عَلَى شُكْرِهِ، مِمَّنْ هُوَ كَافِرٌ بِهَا؛ فَيُضِلُّهُ؛ جَزَاءً عَلَى كُفْرِهِ.

وَإِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا -يا محمد-؛ فَحَيِّهِمْ بِالْقَاءِ السَّلَامِ عَلَيْهِمْ، وَبَيِّرْهُمْ بِرَحْمَةِ اللهِ الْوَاسِعَةِ؛ فَقَدْ أَوْجَبَهَا عَلَى نَفْسِهِ الْكَرِيمَةِ؛ تَفَضُّلاً مِنْهُ، فَمَنْ اقْتَرَفَ ذَنْبًا، بِجَهَالَةٍ مِنْهُ حَيْثُ أَثَرَ

الدنيا، وَعَمِيَ عن عَوَاقِبِ فِعْله ثَمَّ تاب من ذلك، وقام بإصلاح ما أفسدَه؛ فاللهُ تعالى يغفر له ويرحمه.

وكما وَضَحْنَا -فيما تقدَّم من هذه السُّورة- حُجَّتَنَا على المشركينَ، وَمَيَّرْنَا الهُدَى من الضَّلَالِ، فكذلك نوضِّح أدلَّتْنَا في إثباتِ كُلِّ حقٍّ، وَرَدَّ كُلِّ باطلٍ؛ ليظهر طريقُ المُشركينَ.

قل -يا مُحَمَّدُ- لأولئك المشركينَ: إِنَّ رَبِّي نهاني عن عِبَادَةِ ما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ سُبْحَانَهُ، ولا أَتَّبِعُ أهواءكم في ذلك، فإنِ فعلتُ فقد خرجتُ عن طريقِ الهدى.

قل -يا مُحَمَّدُ-: إِنِّي على بصيرةٍ، وَحُجَّةٍ، قد أَبانت صِحَّةَ توحيدِ رَبِّي، وَأَوْضَحْتَ صِحَّةَ شَرِيعَتِهِ، وَلَكِنِّكُمْ -أيُّها المُشركونَ- كَذَبْتُمْ بِالْحَقِّ، وليس الَّذي تَتَعَجَّلُونَهُ مِنْ عَذَابِ الله تعالى بِيَدِي، إِنَّمَا ذلك راجِعٌ إلى الله تعالى وحده، فَإِنْ شاء عَجَّلَهُ لَكُمْ، وَإِنْ شاء أَخَّرَهُ عنكم، بِحَسَبِ ما تَقْتَضِيهِ حُكْمَتُهُ، فالحكمُ الكونيُّ، والشَّرْعِيُّ لله تعالى وحده، وهو يَتْلُو علينا في كتابِهِ الحقَّ الواضِحَ، الَّذي تَنْقَطِعُ به حُجَجُهُمْ، وهو خَيْرُ مَنْ فَصَلَ القضايا، فمَيَّرَ بَيْنَ المحَقِّ والمَبْطُلِ.

قل -يا مُحَمَّدُ- لهؤلاء المُستعجلينَ بالعذاب: لو أَنَّ بِيَدِي عذابكم لعَاجَلْتُكُمْ به، وَلَكِنَّ ذلك بِيَدِ الله، الَّذي هو أعلمُ بوقتِ وقوعه على المشركينَ ولا يَخْفَى عليه شيءٌ مِنْ أحوالهم.

وعنده خزائنُ الغيب، فيعلمُ وحده جميعَ ما غاب عن خَلْقِهِ، وعِلْمُهُ مُحِيطٌ بجميعِ الموجوداتِ، بَرِّيَّها وَبَحْرِيَّها، وما مِنْ ورقةٍ شَجَرٍ تَقَعُ في أيِّ مكانٍ مِنَ الأرضِ إِلَّا واللهُ عَزَّ وَجَلَّ يَعْلَمُها، وما مِنْ حَبَّةٍ مِنَ الثَّمَرِ والزُّروعِ، والبُذورِ موجودةٍ في

ظَلَمَاتِ الْأَرْضِ، وكذا كُلُّ شَيْءٍ آخَرَ مِنْ رَطْبٍ أَوْ يَابِسٍ؛ إِلَّا وَقَدْ أُثْبِتَ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، مَكْتُوبًا فِيهِ عَدَدُهُ، وَغَيْرَ ذَلِكَ.

وَاللَّهُ هُوَ الَّذِي يَقْبِضُ أَرْوَاحَكُمْ بِاللَّيْلِ عِنْدَ النَّوْمِ، وَيَعْلَمُ مَا كَسَبْتُمْ مِنَ الْأَعْمَالِ بِالنَّهَارِ، وَهُوَ الَّذِي يُوقِظُكُمْ مِنْ مَنَامِكُمْ فِي النَّهَارِ؛ ثُمَّ لَا يَزَالُ الْأَمْرُ كَذَلِكَ إِلَى أَنْ تَبْلُغُوا الْأَجَلَ الَّذِي حَدَّدَهُ اللَّهُ لِحَيَاتِكُمْ فَتَمُوتُوا، ثُمَّ إِلَى اللَّهِ وَحَدَّهُ مَصِيرُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يُخَبِّرُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَهُ فِي الدُّنْيَا، وَيُجَازِيكُمْ بِذَلِكَ.

وَاللَّهُ تَعَالَى هُوَ الَّذِي قَهَرَ عِبَادَهُ، فَهُوَ الْغَالِبُ لَهُمْ بِقُدْرَتِهِ، الْعَالِي عَلَيْهِمْ بِتَذْلِيلِهِ لَهُمْ، وَوَكَّلَ بِهِمْ مَلَائِكَةً؛ يَحْفَظُونَهُمْ، وَيَحْصُونَ أَعْمَالَهُمْ، وَإِذَا حَضَرَ أَحَدُهُمُ الْمَوْتُ، تَوَقَّعَتِ الْمَلَائِكَةُ الْمَوْكُلُونَ بِقَبْضِ الْأَرْوَاحِ فِي الْوَقْتِ الْمَحْدَدِ، وَلَا يُفَرِّطُونَ فِي حِفْظِ رُوحِ الْمُتَوَفَّى، وَيُنْزِلُونَهَا حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى، فَإِنْ كَانَ مِنَ الْأَبْرَارِ فِي عِلِّيِّينَ، وَإِنْ كَانَ مِنَ الْفَجَّارِ فِي سَجِّيْنِ.

ثُمَّ بَعْدَ الْمَوْتِ وَالْحَيَاةِ الْبَرَزَخِيَّةِ يُرَدُّ الْعِبَادُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى اللَّهِ سَيِّدِهِمْ، الَّذِي تَوَلَّى أُمُورَهُمْ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ الْحَقُّ الَّذِي لَيْسَ بِبَاطِلٍ، فَرُدُّوا إِلَيْهِ؛ لِيَتَوَلَّى الْحُكْمَ فِيهِمْ، فَيُنَبِّئَهُمْ عَلَى الطَّاعَاتِ، وَيُعَاقِبَهُمْ عَلَى السَّيِّئَاتِ، وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ، لَا يَفُوقُهُ أَحَدٌ فِي ذَلِكَ.

قُلْ -يَا مُحَمَّدٌ- لِلْمُشْرِكِينَ: مَنْ الَّذِي يُنَجِّيكُمْ فِي مَفَاوِزِ الْبَرِّيَّةِ، إِذَا ضَلَلْتُمْ، وَفِي اللَّجَجِ الْبَحْرِيَّةِ، إِذَا هَاجَتِ الْعَوَاصِفُ، أَوْ أَخْطَأْتُمْ طَرِيقَكُمْ، مَنْ الَّذِي تَدْعُونَهُ سِرًّا بِتَذَلُّلٍ وَافْتِقَارٍ، قَائِلِينَ: لَنْ أُخْرِجْتَنَا مِنْ هَذِهِ الشَّدَّةِ الَّتِي وَقَعْنَا فِيهَا، لَنْكُونَنَّ مِمَّنْ يَعْتَرِفُ بِنِعْمَتِكَ، وَيَخْلَصُ لَكَ الْعِبَادَةُ؟

قُلْ -يا مُحَمَّدٌ- للمشركين: الله هو القادرُ على أن يُنجيكم مما حلَّ بكم في البرِّ والبحر؛ ومن كلِّ كَرْبٍ آخَرَ، لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا الَّذِي تَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِهِ، ثُمَّ أَنْتُمْ بَعْدَ نَجَاتِكُمْ تُشْرِكُونَ بِهِ مُجَدِّدًا، فَلَا تُفُونَ لِلَّهِ تَعَالَى بِمَا قُلْتُمْ، وَتَنْسَوْنَ نِعَمَهُ عَلَيْكُمْ!

قُلْ -يا مُحَمَّدٌ- للمشركين: إِنَّ الَّذِي يُنَجِّيكَ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ، ثُمَّ تَعُودُونَ لِلْإِشْرَاقِ بِهِ؛ قَادِرٌ عَلَى إِرْسَالِ الْعَذَابِ إِلَيْكُمْ فَوْقَ رُؤُوسِكُمْ كَالرَّجَمِ، أَوْ مِنْ تَحْتِكُمْ كَالْخَسْفِ، أَوْ يَخْلِطُكُمْ أَحْزَابًا مُفْتَرِقَةً، وَيَقْتُلُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا.

وَانظُرْ -يا مُحَمَّدٌ- إِلَى تَنْوِيعِ حُجَجِنَا عَلَى هَؤُلَاءِ الْمَشْرِكِينَ، وَإِضَاحِنَا لِلْحَقِّ؛ لِيَفْهَمُوا، وَيَزْدَجِرُوا.

وَكَذَّبَتْ فُرَيْشٌ -يا مُحَمَّدٌ- بِالْقُرْآنِ، وَهُوَ الْحَقُّ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ، فَقُلْ لَهُمْ: لَسْتُ مُوَكَّلًا بِكُمْ، وَإِنَّمَا عَلَيَّ الْبَلَاغُ.

لِكُلِّ خَبَرٍ وَقْتُ يَسْتَقَرُّ فِيهِ، وَزَمَانٌ لَا يَتَقَدَّمُ عَنْهُ وَلَا يَتَأَخَّرُ، وَغَايَةُ يَتَبَيَّنُ عِنْدَهَا صِدْقُهُ مِنْ كَذِبِهِ، وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ -أَيُّهَا الْمَشْرِكُونَ- مَا تَوْعَدُونَ بِهِ مِنَ الْعَذَابِ.

وَإِذَا رَأَيْتَ -يا مُحَمَّدٌ- الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا بِالْكَذِبِ وَالِاسْتِهْزَاءِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، فَلَا تَجْلِسْ مَعَهُمْ حَتَّى يَأْخُذُوا فِي كَلَامٍ آخَرَ، وَإِنْ أُنْسَاكَ الشَّيْطَانُ نَهْيِنَا عَنِ الْجُلُوسِ مَعَهُمْ، ثُمَّ تَذَكَّرْتَ؛ فَقُمْ، وَلَا تَقْعُدْ مَعَ أَوْلَئِكَ الظَّالِمِينَ.

إِذَا تَجَنَّبَهُمُ الْمُتَّقُونَ؛ فَلَمْ يَجْلِسُوا مَعَهُمْ فِي ذَلِكَ، فَقَدْ تَخَلَّصُوا مِنْ إِيْمٍ خَوْضِ الْكُفَّارِ فِي الْبَاطِلِ، وَلَا يُحَاسِبُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، وَلَكِنْ عَلَيْهِمْ تَذَكُّيرُهُمْ؛ لِيَتَّقُوا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ؛ فَيَتْرَكُوا الْخَوْضَ فِي آيَاتِهِ سُبْحَانَهُ.

وَدَعُ -يا مُحَمَّدٌ- هَؤُلَاءِ الَّذِينَ جَعَلُوا نَصِيحَهُمْ مِنْ دِينِ اللَّهِ
تَعَالَى اللَّعِبَ بآيَاتِهِ، وَاللَّهْوَ بِهَا، وَقَدْ اغْتَرُّوا بِزِينَةِ الدُّنْيَا، فَتَسُوا
الْآخِرَةَ. وَذَكَرَ النَّاسَ بِهَذَا الْقُرْآنِ؛ كَيْ لَا تُحْبَسَ نَفْسٌ بِذُنُوبِهَا
وَكُفْرِهَا، عَمَّا فِيهِ نَجَاتُهَا، وَتُسَلَّمَ لِلْعَذَابِ، فَلَيْسَ لَهَا حِينَ ذَلِكَ أَحَدٌ
يَنْصُرُهَا، وَيُنْقِذُهَا، وَلَا شَفِيعٌ يَطْلُبُ لَهَا الْعَفْوَ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ،
وَلَوْ بِذَلِكَ كُلِّ فِدَاءٍ؛ لَا يُقْبَلُ مِنْهَا. وَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أُسْلِمُوا لِعَذَابِ
اللَّهِ، فَحُبِسُوا بِهِ؛ جَزَاءً بِمَا كَسَبُوا فِي الدُّنْيَا مِنَ الْآثَامِ، لَهُمْ شَرَابٌ
شَدِيدُ الْحَرَارَةِ، وَلَهُمْ عَذَابٌ مُؤَلَّمٌ؛ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ.

قُلْ -يا مُحَمَّدٌ-: أُنَدِّعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَقْدِرُ عَلَى نَفْعِنَا أَوْ
ضَرْرِنَا، وَنَرْجِعْ بَعْدَ هِدَايَةِ اللَّهِ تَعَالَى لَنَا إِلَى الصَّلَاةِ، فَيَكُونُ مَثَلُنَا
فِي ذَلِكَ كَالرَّجُلِ الَّذِي أَضَلَّهُ الشَّيَاطِينُ عَنْ طَرِيقِهِ، فَبَقِيَ فِي
حَيْرَةٍ، وَلَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُوْنَهُ إِلَى الطَّرِيقِ الصَّحِيحِ الَّذِي هُمْ
عَلَيْهِ؟!

قُلْ -يا مُحَمَّدٌ-: إِنَّ طَرِيقَ اللَّهِ، هُوَ الْحَقُّ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ،
وَمَا عَدَاهُ فَضْلًا، وَقَدْ أَمَرْنَا رَبُّ الْعَالَمِينَ بِأَنْ نُنْقَادَ لِتَوْحِيدِهِ،
وَنَسْتَسَلِمَ لِأَمْرِهِ، وَنَخْضَعَ لِعِبَادَتِهِ.

وَأَمَرْنَا بِإِقَامَةِ الصَّلَاةِ، بِحُدُودِهَا وَأَرْكَانِهَا وَشُرُوطِهَا
وَسُنَنِهَا، وَبِتَقْوَاهِ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ، وَهُوَ الَّذِي تُجْمَعُونَ إِلَيْهِ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ، فَيُجَازِيكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ.

وَهُوَ سُبْحَانَهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لِحَكْمٍ عَظِيمَةٍ لَا
لِعَبَا وَعِبْنًا. وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ بِقَوْلِ اللَّهِ: {كُنْ} فَيَكُونُ عَنْ أَمْرِهِ
فَوْرًا، فَقَوْلُهُ تَعَالَى وَاقِعٌ لَا مُحَالَةٌ، وَهُوَ الْمُنْفَرِدُ بِالْمَلِكِ وَحْدَهُ فِي
ذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي يَنْفُخُ فِيهِ الْمَلَكُ فِي الصُّورِ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ يَعْلَمُ مَا

يَغِيبُ عَنِ الْعِبَادِ وَمَا يُشَاهِدُونَهُ، فَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ، وَهُوَ الَّذِي لَهُ الْحِكْمَةُ التَّامَّةُ، الْخَبِيرُ الْمَحِيطُ عُلَمَاءَ بِجَمِيعِ الْبَوَاطِنِ.

وَادْكُرْ - يَا مُحَمَّدُ - حِينَ قَالَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأَبِيهِ آزَرَ: أَتَعْبُدُ الْأَصْنَامَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؟! إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ تِلْكَ الْأَصْنَامَ فِي ضَلَالٍ وَاضِحٍ عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ. كَمَا بَصَّرْنَا إِبْرَاهِيمَ فِي دِينِهِ فَوَقَّفْنَاهُ لِتَوْحِيدِ اللَّهِ تَعَالَى؛ أَرَيْنَاهُ أَيْضًا مُلُوكَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، فَرَأَى مَا أَبَدَّعَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمَا؛ لِيَتَبَيَّنَ بِبَصِيرَتِهِ مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ مِنْ أَدَلَّةٍ وَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَاسْتِحْقَاقِهِ لِلْعِبَادَةِ وَحْدَهُ؛ فَيَصِلَ إِلَى دَرَجَةِ الْيَقِينِ.

فَلَمَّا وَارَى إِبْرَاهِيمَ اللَّيْلَ، أَبْصَرَ كَوْكَبًا، فَقَالَ عَلَى وَجْهِ التَّنَزُّلِ مَعَ قَوْمِهِ: هَذَا رَبِّي. فَلَمَّا غَابَ ذَلِكَ الْكَوْكَبُ، قَالَ: لَا أُحِبُّ الْمَعْبُودَ الْمَتَغَيِّرَ، الْمُسَخَّرَ، الَّذِي يَغِيبُ عَمَّنْ عَبْدُهُ. فَلَمَّا رَأَى إِبْرَاهِيمُ الْقَمَرَ فِي أَوَّلِ طُلُوعِهِ قَالَ تَنَزُّلاً: هَذَا رَبِّي. فَلَمَّا غَابَ الْقَمَرُ قَالَ: لَئِنْ لَمْ يُوَفِّقْنِي رَبِّي لِإِصَابَةِ الْحَقِّ لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ أَخْطَؤُوا الصَّوَابَ.

فَلَمَّا رَأَى إِبْرَاهِيمُ الشَّمْسَ فِي أَوَّلِ طُلُوعِهَا قَالَ تَنَزُّلاً: هَذَا رَبِّي، وَهُوَ أَكْبَرُ مِنَ الْكَوْكَبِ وَمِنَ الْقَمَرِ، فَلَمَّا غَابَتِ الشَّمْسُ قَالَ لِقَوْمِهِ: إِنِّي أَتَبَرَّأُ مِنْ كُلِّ مَا تَعْبُدُونَهُ مَعَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. إِنِّي أَخْلَصْتُ قَصْدِي، وَأَفْرَدْتُ عِبَادَتِي لِلَّهِ الَّذِي أَبْدَعَ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، الْقَادِرِ وَحْدَهُ عَلَى أَنْ يُنْشِئَ الْخَلْقَ مِنَ الْعَدَمِ، فَأَنَا مُسْتَقِيمٌ عَلَى تَوْحِيدِهِ، لَا أُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا.

وَجَادَلَ إِبْرَاهِيمَ قَوْمُهُ فِيمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ مِنْ تَوْحِيدِ اللَّهِ تَعَالَى، وَبِرَآئَتِهِ مِنَ الْأَصْنَامِ، وَقَالَ لَهُمْ: أَتُجَادِلُونَنِي فِي عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ، وَالْحَالُ أَنَّهُ بَصَّرَنِي بِالْحَقِّ، وَوَفَّقَنِي لِاتِّبَاعِهِ؟! وَلَا أَرْهَبُ إِلَهَتَكُمْ

الَّتِي تَدْعُونَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْ تَنْأَلَنِي بِسُوءٍ؛ فَهِيَ لَا تَنْفَعُ وَلَا تَضُرُّ، لَكِنْ إِذَا شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَنْأَلَنِي ذَلِكَ فَسَيَكُونُ، أَحَاطَ عِلْمُ رَبِّي سُبْحَانَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ؛ فَلَا تَخَفْ عَلَيْهِ خَافِيَةً، أَفَلَا تَتَّعِظُونَ، فَتَعْقِلُوا بَطْلَانَ عِبَادَتِكُمْ لِأَلَهَةٍ لَا تَقْدِرُ عَلَى ضَرٍّ وَلَا نَفْعٍ، وَلَا تَعْلَمُ شَيْئًا؟

وَكَيْفَ أَرْهَبُ آلِهَتَكُمْ الْعَاجِزَةَ الَّتِي أَشْرَكْتُمُوهَا مَعَ اللَّهِ، بَيْنَمَا أَنْتُمْ لَا تَخَافُونَ مِنَ اللَّهِ فِي إِشْرَاكِكُمْ بِهِ مَا لَمْ يُنْزَلْ بِهِ عَلَيْكُمْ بُرْهَانًا؟! فَأَيُّ الطَّائِفَتَيْنِ أَجْدَرُ بِالْأَمْنِ؛ الَّذِي عَبْدَ مَنْ بِيَدِهِ الضَّرُّ وَالنَّفْعُ، أَوِ الَّذِي عَبْدَ بِلَا دَلِيلٍ مَنْ لَا يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ؟ فَإِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ صِدْقَ مَا أَقُولُ، فَأَجِيبُونِي.

الَّذِينَ آمَنُوا حَقًّا، وَلَمْ يَخْلُطُوا إِيمَانَهُمْ بِشِرْكَ، هُمُ الْآمِنُونَ مِنَ الْمَخَافِ فِي الدَّارَيْنِ، السَّالِكُونَ طَرِيقَ الْحَقِّ.

وَتِلْكَ حُجَّتُنَا أَعْطَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ؛ لِيُفْحِمَ قَوْمَهُ، فَانْقَطَعَتْ حُجَّتُهُمْ، وَعَلَا عَلَيْهِمْ، وَكَمَا رَفَعْنَا دَرَجَةَ إِبْرَاهِيمَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَكَذَلِكَ نَرْفَعُ مَنْ نَشَاءُ مَنْحَهُ الْعِلْمَ وَالْحُجَّةَ، دَرَجَاتٍ فَوْقَ الْعِبَادِ، إِنَّ رَبَّكَ -يَا مُحَمَّدُ- حَكِيمٌ فِي سِيَاسَتِهِ خَلْقَهُ، وَتَلْقِينَهُ الْحُجَجَ لِرُسُلِهِ، وَفِي غَيْرِ ذَلِكَ، عَلِيمٌ بِعَاقِبَةِ رُسُلِهِ وَالْمُرْسَلِ إِلَيْهِمْ، وَيَرْفَعُ مَنْ يَسْتَحِقُّ الْهَدَايَةَ، وَيَخْذُلُ مَنْ يَسْتَحِقُّ الضَّلَالَ.

وَهَبْنَا لِإِبْرَاهِيمَ ابْنَهُ إِسْحَاقَ وَابْنَ ابْنِهِ يَعْقُوبَ، وَقَدْ هَدَيْنَاهُمُ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ، وَهَدَيْنَا نُوحًا مِنْ قَبْلِهِمْ، وَهَدَيْنَا أَيْضًا مِنْ ذُرِّيَّةِ نُوحٍ: دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ، وَكَمَا جَزَيْنَا أَوْلَئِكَ الرُّسُلَ الْكِرَامَ، فَوَفَّقْنَاهُمْ لِلْحَقِّ كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلَهُ لِلَّهِ تَعَالَى، فَنَجْعَلْ لَهُ حِظًّا مِنَ التَّوْفِيقِ لِلْحَقِّ، وَالتَّنَازُلِ الْجَمِيلِ، وَالدُّرِّيَّةِ الصَّالِحَةِ، بِحَسَبِ إِحْسَانِهِ.

وهَدَيْنَا الْحَقَّ أَيْضًا زَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ، وَهَؤُلَاءِ مِنَ الصَّالِحِينَ فِي نَبَاتِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ، وَأَعْمَالِهِمْ وَعُلُومِهِمْ.
وهَدَيْنَا الْحَقَّ أَيْضًا إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا، وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ فِي أَرْزَانِهِمْ.

وَهَدَيْنَا أَيْضًا بَعْضَ آبَاءِ مَنْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُمْ؛ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَهَدَيْنَا بَعْضَ ذُرِّيَّاتِهِمْ، وَبَعْضَ إِخْوَانِهِمْ، وَاخْتَرْنَا لَهُمْ لِإِبْلَاحِ رِسَالَتِنَا، وَوَفَّقْنَاهُمْ لِاتِّبَاعِ الْحَقِّ.

هَذَا الْهُدَى الَّذِي أُعْطِيَ لِأُولَئِكَ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ، هُوَ هُدَى اللَّهِ الَّذِي لَا هُدَى غَيْرَهُ، فَيُوفِّقُ لَهُ مَنْ يَشَاءُ اللَّهُ هِدَايَتَهُ، وَلَوْ أَنَّ أُولَئِكَ الْأَنْبِيَاءَ وَالرُّسُلَ أَشْرَكُوا بِرَبِّهِمْ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -عَلَى سَبِيلِ الْفَرَضِ وَالتَّقْدِيرِ- لَذَهَبَ عَنْهُمْ أَجْرُ جَمِيعِ مَا عَمِلُوهُ مِنَ الْخَيْرِ.

أُولَئِكَ الْأَنْبِيَاءُ وَالرُّسُلُ هُمُ الَّذِينَ أُعْطِينَاهُم الْكِتَابَ، كَصُحُفِ إِبْرَاهِيمَ، وَتُورَةِ مُوسَى، وَزَبُورِ دَاوُدَ، وَإِنْجِيلِ عِيسَى، وَمَنْحَنَاهُمُ الْفَهْمَ بِهِ، وَمَعْرِفَةَ أَحْكَامِهِ، وَدَقَائِقِهِ، وَأَكْرَمْنَاهُمُ بِالنَّبُوءَةِ، فَإِنْ يَكْفُرُ -يَا مُحَمَّدٌ- قَوْمُكَ بِمَا آتَيْنَاكَ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحُكْمِ وَالنَّبُوءَةِ، فَقَدْ رَزَقْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ مُؤْمِنِينَ بِهَا؛ حَتَّى يَقُومُوا بِهَا، وَيَحَافِظُوا عَلَيْهَا.

أُولَئِكَ الْأَنْبِيَاءُ وَالرُّسُلُ الْكَرَامُ، هُمُ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ لِلْحَقِّ، فَسِرَ خَفَافُهُمْ -يَا مُحَمَّدٌ- وَاتَّبَعَهُمْ، وَقُلْ لِمُشْرِكِي قَوْمِكَ: لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَى دَعْوَتِي لَكُمْ، وَإِبْلَاحِكُمُ الْقُرْآنَ، أَجْرَةً، وَمَا أَقُومُ بِذَلِكَ إِلَّا تَذْكِيرًا لِلْعَالَمِينَ.

وَمَا عَظَّمُوا اللَّهَ حَقَّ تَعْظِيمِهِ؛ حِينَ قَالَ الْيَهُودُ -وَيَحْتَمِلُ أَنَّ الْمَشْرِكِينَ قَلَدُوهُمْ فِي ذَلِكَ- إِنْكَارًا لِنَبُوءَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وسلم: لم يُنزلِ اللهُ على آدميِّ كتابًا! فقل لهم -يا محمَّد-: إذا كان الأمر كما تزعمون فمن أنزلَ إذن التوراةَ التي جاء بها موسى نورا وهدى إلى الحق؟ وقد جعلتموها معشر اليهود في دفاتر تنسخونها بأيديكم، وتتصرفون فيها وفق أهوائكم؛ فمنها ما أظهرتموه، وكثير منها أخفيتموه. وقد علّمكم اللهُ عزَّ وجلَّ ما لم تعلموه، ولم يعلمه أبائكم؛ كأخبار ما سبق، وأنباء ما يأتي، قل -يا محمَّد-: اللهُ الذي أنزلَ التوراةَ على موسى، ثم دَعَهُمْ فيما يخوضون فيه من باطل.

وهذا القرآنُ الَّذي أوحيناهُ إليك -يا محمَّد- كتابٌ كثيرُ البركاتِ، مُوافقٌ لما قبله من الكُتب، وشاهدٌ لها بالصدق، وقد أنزلناه لنُنذِرَ أهلَ مَكَّةَ ومن حولهم من أحياءِ العربِ، وسائرِ البلدان، فنَحذِرَهم عقوبةَ اللهِ عزَّ وجلَّ. وكلُّ الذين يؤمنون بوقوعِ البعث؛ يؤمنون بهذا القرآنِ العظيم، وهم يقومون بأداءِ الصَّلواتِ ويدأبون عليها، ويحفظون أركانها وحدودها وأدابها.

لا أحدَ أعظمُ ظلمًا، ممَّن كَذَبَ على اللهِ عزَّ وجلَّ، بأنَّ نسبَ إليه سبحانه قولًا أو حكمًا وهو تعالى بريءٌ منه، أو ادَّعى على اللهِ تعالى أنَّه بعثه نبيًّا وهو كاذبٌ في دعواه؛ أو ادَّعى أنَّ في إمكانه الإتيانَ بمثلِ القرآن!

ولو ترى -يا محمَّد- الظَّالمينَ، أمثالَ هؤلاءِ المُفترينَ على اللهِ تعالى، حينَ يغمُرهم الموتُ بسُكْرَاتِهِ؛ لَرَأَيْتَ أمرًا هائلًا، والملائكةُ قد مدُّوا أيديهم؛ يَضْرِبُونَ وجوههم وأدبارهم ضربًا مُوجعًا، ويقولون لهم عندَ امتناعِ أرواحهم من الخروجِ:

أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ أَجْسَادِكُمْ، الْيَوْمَ تُهَانُونَ غَايَةَ الْإِهَانَةِ؛ جَزَاءَ كَذِبِكُمْ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَاسْتِكْبَارِكُمْ عَنْ اتِّبَاعِ الْحَقِّ.

يَقُولُ لَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى عِنْدَ وُرُودِهِمْ عَلَيْهِ فِي الْآخِرَةِ: لَقَدْ جِئْتُمُونَا بِلَا أَهْلٍ وَلَا أَوْلَادٍ، وَلَا جُنُودٍ وَلَا أَعْوَانٍ، حُفَاءَ عُرَاةٍ غُلْفًا غُرْلًا، وَخَلَفْتُمْ مَا آتَيْنَاكُمْ مِنْ نِعَمِ الدُّنْيَا، فَلَمْ تَحْمِلُوهَا إِلَى الْآخِرَةِ، وَلَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمْ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَعْبُدُونَهُمْ مَعَنَا، وَتَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ يَشْفَعُونَ لَكُمْ عِنْدَنَا، لَقَدْ انْقَطَعَ الْيَوْمَ مَا كَانَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ، وَغَابُوا عَنْكُمْ.

إِنَّ الَّذِي يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ وَحْدَهُ هُوَ اللَّهُ الَّذِي يَشْقُ الْحَبَّ فِي الشَّرَى، فَتَنْبُتُ الزُّرُوعُ، وَيَشْقُ التَّوَى، فَتَخْرُجُ الْأَشْجَارُ، وَيُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ، كَمَا يُخْرِجُ الْإِنْسَانَ مِنَ النُّطْفَةِ، وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ كَمَا يُخْرِجُ النُّطْفَةَ مِنَ الْإِنْسَانِ، وَالَّذِي خَلَقَ وَدَبَّرَ تِلْكَ الْأَشْيَاءَ الْمُبْهَرَةَ، هُوَ اللَّهُ الْمُسْتَحَقُّ لِلْعِبَادَةِ وَحْدَهُ، فَكَيْفَ تُصْرَفُونَ عَنْ هَذِهِ الْبَرَاهِينِ، وَالْآيَاتِ الْعَجِيبَةِ؟!

هُوَ سُبْحَانَهُ الَّذِي يَشْقُ ظُلْمَةَ اللَّيْلِ شَيْئًا فَشِيئًا، حَتَّى يَضْمَحِلَّ، وَيَخْلُقَهُ النَّهَارُ بَضِيئًا، فَيَتَحَرَّكُ الْخَلْقُ لِمَنَافِعِهِمْ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ مُظْلِمًا، فَيَسْكُنُ فِيهِ كُلُّ مُتَحَرِّكٍ بِالنَّهَارِ، وَيَهْدَأُ وَيَرْتَاخُ فِي مَسْكَنِهِ، وَجَعَلَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ يَجْرِيَانِ بِحِسَابٍ مُقَدَّرٍ، لَا يَتَغَيَّرُ، وَبِهِمَا تُعْرَفُ الْأَوْقَاتُ، وَذَلِكَ تَقْدِيرُ الَّذِي عَزَّ سُلْطَانُهُ، فَلَا يُمَانَعُ وَلَا يُخَالَفُ، الَّذِي أَحَاطَ عِلْمُهُ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَمِنْ ذَلِكَ عِلْمُهُ بِمَصَالِحِ خَلْقِهِ.

هُوَ سُبْحَانَهُ الَّذِي جَعَلَ النُّجُومَ لَكُمْ أَدِلَّةً عَلَى الطَّرِيقِ الصَّحِيحِ فِي بَرٍّ أَوْ بَحْرٍ.

وقد مَيَّزَ كُلَّ جَنسٍ وَنَوْعٍ مِنَ الْأَدَلَّةِ عَنِ الْآخَرِ، وَوَضَحَهَا؛
لِيَتَدَبَّرَهَا وَيَفْهَمَهَا أُولُو الْعِلْمِ.

وهو سُبْحَانَهُ الَّذِي أَخْرَجَكُمْ مِنَ الْعَدَمِ إِلَى الْوُجُودِ، مِنْ أَبِيكُمْ
آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثُمَّ صَرِّثُمْ نُطْقًا فِي أَصْلَابِ آبَائِكُمْ، ثُمَّ تَسْتَقِرُّ
فِي أَرْحَامِ أُمَّهَاتِكُمْ.

لَقَدْ بَيَّنَّا الْأَدَلَّةَ، وَمَيَّزْنَاها، لِقَوْمٍ يَفْهَمُونَهَا، فَيَعُونُ عَنْ اللَّهِ
تَعَالَى مُرَادَهُ.

وهو سُبْحَانَهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْمَطَرَ، فَأَنْبَتَ بِهِ كُلَّ شَيْءٍ؛ فَأَخْرَجَ
مِنْهُ زَرْعًا وَشَجَرًا أَخْضَرَ رَطْبًا، ثُمَّ يَخْلُقُ فِيهِ الْحَبَّ وَالنَّوْمَ،
فَيَرْكَبُ بَعْضُهُ بَعْضًا؛ كَالسَّنَابِلِ، وَمِنْ طَلْعِ النَّخْلِ وَهُوَ وَعَاؤُهَا
الَّذِي تَنْشَأُ فِيهِ عُذُوقُ الرُّطْبِ، تَخْرُجُ تِلْكَ الْعُذُوقُ مُتَدَلِّيَةً، سَهْلَةً
الْتِمَازِلِ، وَأَخْرَجَ أَيْضًا بَسَاتِينَ مِنْ أَعْنَابٍ، وَشَجَرَ الزَّيْتُونِ
وَالرُّمَّانِ الَّذِي يَتَشَابَهُ فِي وَرْقِهِ وَشَجَرِهِ، وَيَخْتَلِفُ فِي ثَمَرِهِ شَكْلًا
وَطَعْمًا، فَاَنْظُرُوا إِلَيْهِ حِينَ طُلُوعِهِ، وَحِينَ نُضْجِهِ، نَظَرَ فِكْرٍ
وَاعْتِبَارٍ، وَإِنَّ فِيهِمَا ذِكْرَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ؛ لَدَلَالَاتٍ
لِلْمُؤْمِنِينَ عَلَى وَحْدَانِيَّةِ وَكَمَالِ قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَنَّ الْعِبَادَةَ لَا
تَصْلُحُ إِلَّا لَهُ عَزَّ وَجَلَّ.

وَجَعَلَ الْمَشْرِكُونَ الْجِنَّ شُرَكَاءَ لِلَّهِ تَعَالَى فِي الْعِبَادَةِ، وَالْحَالُ
أَنَّ الَّذِي خَلَقَ الْجِنَّ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى وَحْدَهُ؛ فَكَيْفَ عَبَدُوهُمْ مَعَهُ؟!
وَافْتَرَوْا لِلَّهِ تَعَالَى بَنِينَ وَبَنَاتٍ بَغِيرَ دَلِيلٍ؛ جَهْلًا بِاللَّهِ، فَتَنَزَّهُ اللَّهُ
جَلَّ وَعَلَا، عَمَّا يَصِفُونَهُ بِهِ؛ مِنَ الْأَوْلَادِ وَالشُّرَكَاءِ، وَذَلِكَ لَا
يَنْبَغِي؛ فَإِنَّهُ تَعَالَى الْمَوْصُوفُ بِكُلِّ كَمَالٍ، الْمُنَزَّهُ عَنْ كُلِّ نَقْصٍ
وَعَيْبٍ.

إِنَّ الذي أوجد السَّمَوَاتِ والأَرْضِ، على غير مثالٍ سابق، لا يمكن أن يكون له وَلَدٌ، ولا زوجةٌ له! فالوَلَدُ إِنَّمَا يكون متوَلِّدًا عن شيئينِ متناسِبين، واللَّهُ لا يناسبُهُ شيءٌ من خَلْقِهِ؛ وهو سُبْحَانَهُ لا يحتاجُ إلى زوجةٍ، فهو الغنيُّ عن جميعِ الكائناتِ وهم خَلْقُهُ وعبيدُهُ، ولا يُمكنُ أن يكون شيءٌ من ذلك وَلَدًا أو زوجةً له، وهو سُبْحَانَهُ لا يَخْفَى عليه شيءٌ ممَّا خَلَقَ، وهو عالمٌ بأعمالِ أولئك الذين يزعمون أنَّ لله شريكًا أو وَلَدًا، فيجازيهم بها.

لكم -الَّذي لا وَلَدَ له ولا صاحِبَةً، وَخَلَقَ كُلَّ شيءٍ وهو بكلِّ شيءٍ عليّمٌ- هو المعبودُ، الَّذي رَبَّى خَلْقَهُ بِنِعْمِهِ، فلا ينبغي أن تكون العبادة إلا خالصةً له، فاعبدوه وحده، وأمورُ كُلِّ شيءٍ تُفَوَّضُ إليه وحده.

لا تُحيطُ به الأبصارُ، وإنْ كانتُ تراه في الآخرة، أمَّا هو سُبْحَانَهُ فقد أحاطَ عِلْمُهُ، وَسَمِعُهُ، وَبَصَرُهُ بكلِّ شيءٍ، وهو اللَّطِيفُ الَّذي يُوصِلُ النِّفْعَ لَخَلْقِهِ بطرق خفية، من حيثُ لا يَشْعُرُونَ، وهو الخبيرُ الَّذي يدرك الخفايا والبواطن.

قد جاءتكم أدلَّةٌ واضحةٌ في هذا القرآن العظيم، تُبَصِّرُونَ بها الحَقَّ؛ فَمَنْ عَرَفَهَا وَآمَنَ بها، وَعَمَلَ بمقتضاها، ففائدةُ ذلك تعودُ إليه، ومن لم يؤمن بها، وعَمِيَ قَلْبُهُ عن دَلالَتِها، فيعودُ وَبَالُ ذلك عليه، وقل لقومك -يا محمد-: ما أنا عليكم بحافظٍ، وريقيبُ أُخْصِي أَعْمَالَكُمْ، وإِنَّمَا أنا رسولٌ من الله، وظيفتي إبلاغكم ما أُرْسِلْتُ به.

وكما فصلنا الأدلة في هذه السُّورة، ووضَّحناها بطرقٍ متنوِّعةٍ؛ لبيان التَّوْحِيدِ، فكذلك نوضِّحُ آياتِنَا، في جميعِ القرآن؛

ليقولَ مَنْ خَذَلَهُ اللهُ تعالى، فلم يُوقِفْ لِلْعَمَلِ بالقرآن: دَرَسَتْ -يا محمدٌ- هذا الَّذِي تَأْتِينَا بِهِ عِنْدَ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَلَيْسَ بِشَيْءٍ جَدِيدٍ أَنْزَلَ عَلَيْكَ كَمَا تَزْعُمُ! وَأَيْضًا مِنْ أَجْلِ أَنْ نُبَيِّنَ لِقَوْمٍ وَفَقَّاهُمْ، فَلَهُمْ عَقُولٌ، وَعِلْمٌ يَظْهَرُ لَهُمْ بِهِ مَا فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ مِنْ آيَاتٍ مُوَضِّحَةٍ لِلْحَقِّ، فَيَتَّبِعُونَهُ.

اعْمَلْ -يا محمدٌ- بهذا الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ؛ فَإِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ الَّذِي لَا مَعْبُودَ بِحَقِّ سِوَاهُ، وَدَعْ مَا يَدْعُوكَ إِلَيْهِ مُشْرِكُ قَوْمِكَ، وَدَعْ عَنْكَ مَجَادَلَتَهُمْ، وَاحْتِمِلْ أَذَاهُمْ؛ حَتَّى يَنْصُرَكَ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ.

وَلَوْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى هَدَانَهُمْ لَمَا أَشْرَكُوا بِهِ شَيْئًا، لَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى حَكَمَةً فِي خِذْلَانِهِمْ، وَلَمْ نَبْعَثْكَ -يا محمد- عَلَيْهِمْ لَتَحْفَظَ أَعْمَالَهُمْ وَأَقْوَالَهُمْ، وَلَسْتُ بِقَيِّمٍ عَلَى أَرْزَاقِهِمْ وَشُؤُونِهِمْ، وَلَسْتُ مُوَكَّلًا بِمَحَاسِبَتِهِمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، وَمَجَازَاتِهِمْ عَلَيْهِا.

لَا تَسُبُّوا -يُيِّهَا الْمُؤْمِنُونَ- آلِهَةَ الْمُشْرِكِينَ؛ إِذْ يَتَرْتَّبُ عَلَى ذَلِكَ مَفْسَدَةٌ أَعْظَمُ، وَهِيَ قِيَامُ الْمُشْرِكِينَ بِسَبِّ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَيَتَكَلَّمُونَ فِيهِ بِمَا لَا يَلِيقُ جَهْلًا مِنْهُمْ، وَكَمَا زَيْنًا لِهَوْلَاءِ الْمُشْرِكِينَ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، وَطَاعَةِ الشَّيْطَانِ، وَالْإِنْتِصَارَ لَهَا، كَذَلِكَ زَيْنًا بِحِكْمَتِنَا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ، ثُمَّ يَكُونُ مَصِيرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَحْدَهُ، فَيُخْبِرُهُمْ بِأَعْمَالِهِمْ، ثُمَّ يُجَازِيهِمْ بِهَا. وَحَلَفَ الْمُشْرِكُونَ حَلْفًا اجْتَهَدُوا فِيهِ، وَأَكْدَوْهُ؛ أَنَّهُ إِنْ جَاءَتْهُمْ مَعْجَزَةٌ مِمَّا اقْتَرَحُوهُ تَدُلُّ عَلَى نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّهُمْ سَيُؤْمِنُونَ بِالْحَقِّ، فَقُلْ لَهُمْ -يا مُحَمَّدٌ-: إِنْ مَرَجِعُ ذَلِكَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَحْدَهُ، فَإِنْ شَاءَ أَجَابَ طَلَبَكُمْ، وَإِنْ شَاءَ امْتَنَعَ، وَمَا

يُدْرِكُكُمْ -أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ- أَنَّ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ لَا يُؤْمِنُونَ إِذَا
جَاءَهُمْ مَا طَلَبُوهُ.

وَنُزِغُ قُلُوبَهُمْ عَنِ الْإِيمَانِ، فَلَا تَعْقِلُ الْحَقَّ، وَنَحُولُ بَيْنَ
أَبْصَارِهِمْ وَرُؤْيَا الْحَقِّ؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِالْقُرْآنِ فِي أَوَّلِ مَرَّةٍ
بَلَغَهُمْ فِيهَا، وَقَامَتْ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةُ، فَتَرَكُوا هَؤُلَاءِ فِي اعْتِدَائِهِمْ
عَلَى حُدُودِ اللَّهِ تَعَالَى يَتَرَدَّدُونَ؛ فَلَا يَهْتَدُونَ.

ar10107v1.0 - 06/09/2026